

# الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المشؤل  
احمد حسن الزيات

\*  
الادارة

بشارع البدولى رقم ٣٢  
مابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة  
٦٠ في مصر والسودان  
٨٠ في الأقطار العربية  
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى  
١٢٠ في العراق بالبريد السريع  
١ ثمن العدد الواحد  
مكتب الاعلانات  
٢٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة  
تليفون ٤٣٠١٣

العدد ١٦٩ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ رجب سنة ١٣٥٥ - ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

## المعجم السياسي للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

وحدثني صاحبُ سر (م) باشا قال : كنا في سنة ١٩٢٠  
وهي بنت سنة ١٩١٩<sup>(١)</sup> ؛ وقد اجتمعت الأمة على مقاطعة لجنة  
(ملز) لا تكلمها فجملت السكوت ثورة . وأعلن الشعبُ أن  
كلمته في لسان الوفد ينطق الوفد بها نطق النبي بما يؤسى إليه ،  
فما يكون لأحدٍ غيره أن يقولها ولا أن يقول أوحى إلى .  
وأبي اللورد ملز أن يصدق أن للمصريين إجماعاً يقتد به ،  
وأهم دخلوا في السياسة دخولاً ثابتاً فرسَخُوا فيها ، وأنهم  
أصبحوا مع الانجليز كالانجليز الذين يقولون عن أنفسهم في مثلهم  
السائر : ينبغي أن نكون أحراراً مثل أعمالنا

وزعم اللورد لنفسه أن هذه الأحزاب المصرية لا يتفق منها  
اثنان أبداً إلا كان بينهما ثالثٌ يختلفان عليه وهو الطمعُ في  
مناصب الحكم ، واستخرج من ذلك أن المصريَّ والمصريَّ  
كشقيِّ القراض لا يتحركان في عمل إلا على تمزيق شيء  
بينهما ؛ فإن لم يكن بينهما (الشيء) لم يكن بينهما شيء .

(١) سنة الثورة المصرية وقد مر وصفاها في مقالة (الأخلاق المحاربة)

### فهرس الممدد

صفحة	المعجم السياسي
١٥٦١	: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٥٦٣	: وجع القلب ... : الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
١٥٦٥	: قرناً وباريس ... : سائح متجول ...
١٥٦٨	: الجانب الصوفي ... : الدكتور ابراهيم بيوى مذكور في الفلة الاسلامية
١٥٧٢	: طور الثقافة في الأديين ... : الأستاذ نفري أبو السعود ... السري والانجليزى
١٥٧٤	: قصة الكروب ... : ترجمة الدكتور أحمد زكي ...
١٥٧٧	: ميلاد ... : الأديب محمد طه الحاجري ...
١٥٧٩	: الفخر في شعر أن الطيب ... : الأستاذ طه الراوى ...
١٥٨٢	: المرأة المسلمة في القرن ... : الأنسة نعيمة المغربي ... التاسع للهجرة ...
١٥٨٥	: زهات في الحريف ... : ترجمة السيد حمن رفعت ...
١٥٨٦	: المجاهد ... : الأستاذ عبد الحلیم عباس ...
١٥٨٧	: لمسات (قصيدة) ... : الدكتور عبد الوهاب مزام ...
١٥٨٨	: يا شرع ... : أحمد فتحي مرسي ...
١٥٨٨	: أغنية ... : ع . خ . طه ...
١٥٨٨	: قبل النوى ... : السيد الياس قنصل ...
١٥٨٩	: الفلة الأولى ... : الأستاذ دريني خشبة ... والأخيرة (نقطة)
١٥٩٤	: رد وبيان ... : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
١٥٩٥	: الجاحظي (تراث الاسلام) : توفيق الطويل ...
١٥٩٦	: هل للشاعرة مالتعاضد ... : عباس حسان خضر ... الحرية في التعبير المصري
١٥٩٦	: عيد جوسلين وذكري لامرئيتين ...
١٥٩٧	: من أرض البكم . الثقافة الألمانية في عصر النازي ...
١٥٩٨	: دائرة معارف للجنس الأسود . مذكرات ملوكية ...
١٥٩٩	: على طريق الهند (كتاب) : الأستاذ عبد الفتاح السرنجاوى

وذهب الرجلُ يَتَظَنِّي ويحدس على ما يُحَيَّلُ له الظن ، وقد حسب أن إنجلترا يحنُّ لها أن تقولَ في المصريين ما يقولُ الله في خلقه كما ورد في الأثر: إنما يتقبلون في قبضتي ؛ وكما تقول اليوم لأهل فلسطين من العرب : « إن يشأ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِمُخَلِّقٍ جَدِيدٍ » . . . . . وكان اللورد هذا رجلاً ممارساً لمشاكل السياسة ، دَخَّلاً فيها ، دَاهِيَةً من دُهاة القوم ، له في قلبه عينان وأذنان غير ما في وجهه كخَدَاقِ السياسيين ؛ وهو يعرف أن سياسة قومه لا تدخل في شيء إلا دخولَ الأبرة بِمِحْطِها في الثوب ، إن خرجت هي تَرَكْتَ الخيطَ وقد جَمَعَ وشد . . . . . فأراد أن يتحننَ مذهبَ المصريين في إجماعهم على الاستقلال ، وقدَّر أنه واجدٌ من الفلاحين عوناً ومادةً لمكره السياسي ، وحسب الوفدَ صورةً جديدةً من طبقة (الباشاوات) القديمة ، ينزلون من الشعب منزلة اليد التي تُعَمِّسُ القيدَ من الرَّجُلِ التي فيها القيد ، وبضمون معنى كلمة الحاجة في كلمة السياسة ، ويقولون الوطن وهم يريدون الجاه ، وبقيمون الشعب كالسلم ينتصبُ قائماً بأيديهم ليحملَ أرجلهم الصاعدة عليه

جاء اللورد إلى مصر ، فوجد الأمة كلها قد حذرت منه وتيقظت له ، حتى نصحه رشدي باشا بأنه لن يجدَ في مصر هرةً تفاوضه ؛ ولكنه كان مستيقناً أن أذنَ السياسة الانكليزية (كالديو) لصوتين : صوتِ الدنانير وصوتِ الجماهير ، فرَّ في البلاد يرسم على الهواء علامات استفهام ، وأنصفقَ عنه الناسُ وأهملوه ، وكان يسير في دائرة الصمت التي مركزها أبو الهول ، فبدأ وظلَّ يبدأ حتى انتهى وما زال يبدأ . . . وساح في البلاد سياحةً طويلةً وكأنه لم يمسافر إلا من شَفَةِ (أبو الهول) السفلى إلى شفته العليا

\*\*\*

قال صاحب السر : وجاء اللورد لمقابلة الباشا ، فرَّ على مرور كتابٍ مقفلٍ لا أعرفُ منه إلا العنوان ؛ غير أنه رجلٌ بمقدار الرجل الذي يخالف أمةً كاملة تكاد تحسبه مطويّاً على زوينة ، وترى له قوتين يُحَسُّ من أثرها الرهبة والاعجاب ، وإذا تأمَّنته قلتَ إن اللطف والظرف أضغفُ شمائله ، وإن الدَّهَاءَ والحيلة أقوى مواهبه

فلما لقيتُ الباشا من الوفد سألني كيف رأيت اللورد ملتر ؟ فقلت : والله يا باشا إنه كالضرورة ما يتمناها أحدٌ ولكنها نجى

فضحك الباشا وقال : يا ليت لنا نحن الشرقيين ضرورةً تصنع ما صنع اللورد ؛ إنه كشف لنا في ذات أنفسنا عن حقيقة من أسى الحقائق السياسية ، وهي أن الشعب الذي يُصِرُّ ولا يزال يُصِرُّ ، يحمل الأغراء لا يُفْسرُ والخوف لا يُخيفُ وباليت الأمم الشرقية تتعلم هذا الصمت السياسي عن مجاوبة الحكامة الاستعمارية أحياناً ، فازصمتت الأمة المصرية عن جواب (ملتر) كان معناه أن قدرة الأمة هي المتكلمة ككلامها هذا الصمت ، تُعلن للعالم أن الواجب الشعبي قد وضع قفسه على كل فم

ولقد فسر اللورد هذا السكوت بتفسيره السياسي فأدرك منه أن في الشعب أنفةً وحمةً وقوة ، وأن حساب الضمير الوطني أصبح لهذه الأنفة كالحساب الآسي للنفوس المؤمنة ، كلاهما مُسْتَسْتَلِنٌ يُخَافُ وَيُتَّقِي ، وكلاهما كلمة محرمة

أية معجزة هذه التي جعلت كلمة الأجنبي تتخذ في أذهان أمة كاملة شكلَ قائلها ، فاجتمعت لها الجلود على معنى الرفض ، وأصبح كلُّ فرد يعرف محله من الشكل ، وخضعت الطبائع بحملتها لقانون العزة القومية الذي يلزمها ألا تخضع للأجنبي ؟ إن الأمم بعضُ مسائل نفسية كهذه المسئلة ؛ فلو أن لنا خمسة دروس سياسية مختلفة كدرس (ملتر) لكانت لنا في الإيمان الوطني كالصلوات الخمس

والآن تعلت الأمة أن الشعب العزيز هو الذي ينظر في قضٍ مشاركته إلى الحلِّ وإلى طريقة الحلِّ أيضاً ، وقد كان (ملتر) هو أولُ أساتذتنا في تلميذنا الطريقة

وهذا الدرس يُجب أن يكون درساً لا شرق كله ، فإن السياسة الاستعمارية قائمةٌ فيه على خداع الطريقة في حل مشاكله ، فيحلونها ويقدمونها في نص واحد ؛ ويُثبت الكلام الذي يتفقون عليه أن المراد منه زوال الخلاف ، ويثبت العملُ بعد ذلك أن المراد كان زوال المقاومة

وفي السياسة الأوربية مواقف دميعة كالنساء المشوهات ، فإذا عرضوا واحدةً منها على من يريدون أن يزوجه . . . . . فأبأها وفتح لها عينيه بكل ما فيها من قوة الأبصار ، أعفوه منها وقالوا له سنأتيك بالجميلة . ثم يذهبون بها إلى معهد التجميل اللغوي فيصقلونها ويصبنونها ويضعون لها أحمر السياسة وأيضا ثم يعرضونها جديدة على صاحبهم ذلك ، وما صنعوا ما به صارت الدميعة غير دميعة ، ولكن ما به رجح غير الأعمى كالأعمى

بعض هذا « الفيضان ؟ » غير أن غير المعقول عندك هو المعقول عندها والذي لا يجوز خلافه ولا صبر لها على سواء ، فهي من أجل ذلك نسود عيشك وتريك النجوم في الظهر الأحمر . على أن الرجل يستطيع أن يخفى حبه لنفسه أو يمويه ويستره بما يحجبه ، ولا أظن أن في هذا عسراً فإنه يفعل هذا كل ساعة ولا يزال يمزو أعماله إلى بوائت أخرى يظهرها وأشرف وأسمى من حب النفس ، فهو مثلاً يأكل لا لأنه يشتهي الطعام بل لأن من واجبه أن يحرص على أن يظل قوياً قادراً على خدمة النوع الانساني ، وعلى هذا فقس ! غير أن هناك ما لا سبيل إلى ستره وكتمانه أو تمويهه ، إذ من الواضح مثلاً أن من العبث أن تنظر إلى الجبين وأن تروح تزعم أنك إنما كنت تنظر إلى الشمال ، فان اتجاه الدين لا يخفى ولفتة الوجه لا مخالفة فيها . فإذا كانت النظرة إلى امرأة وأنت مع أخرى فالويل لك ولست مسؤولاً عنك . . . . . قالت لي صرمة إحداهن وأنا معها وقد رأيت عيني تدور : « بص هنا » وجذبتني من ذراعي ، فقلت وأنا مستغرب : « ولماذا لا أبص هناك ؟ » قالت : « كده » بهذا الایجاز الذي لا يفيد شيئاً ؛ فقلت : « كده يعني ماذا ؟ » قالت : « كده » ولم ترد . فضايق صدرى فقد عجزت أن أفهم سر هذا الأمر المتعب أو حكمته وقلت : « ياستي .. إن الله قد خلق عيني متحركة غير ثابتة فكيف أزمها الثبات ؟ ثم هينى استطمت ذلك فلماذا أتكلفه ؟ »

فقلت : « عيب ! »

فصحت « عيب ؟؟ يا خبر اسود !! »

فقلت : « لا يليق أن تنظر إلى الفتيات في الطريق »

فهمت ولكنني لم أقتنع وقلت : « إن لي على هذا وداً طويلاً

فهل تسمحين بأن تسميه ؟ »

قالت بتهمك : « نعم يا سيدي ... »

ف تجاوزت عن لهجة التخيرية إذ حبي موضوع واحد للخلاف وقلت : « أولاً — لماذا تظهر الفتيات لنا ماضراً الرجال في الطريق إذا كن لا يردن أن ينظر اليهن أحد ؟ ثانياً — وهذا أم — لماذا يظهرن في حفل من الزينة إذا كان لا يرضيهن أن يدر الرجال فيهن عيونهم ؟ ثالثاً — وهذا هو الأمر — بأى وجه ألقى الله يوم القيامة إذا كنت أغض عيني وأتكلف العمی ولا

## وجع القلب

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

وجدت بالتجربة أنني لا أستطيع أن أحب كما تريد المرأة من الرجل — ولست أعنى أنني عاجز عن الحب ، فما أعرف لي في هذه الدنيا عملاً غير ذلك . فأنا أحب الطعام الجيد والشراب اللذيذ والنوم الهنيء والراحة التامة ؛ وأحب الكتب والصديق الوافق الذي لا يتفحص الحياة على صاحبه بطول المخالفة وكثرة المكابرة ودوام الشذوذ ؛ وأحب أشياء كثيرة لا أستطيع أن أحصيها . ولكنني أحب نفسي وهذا هو البلاء الأكبر . وليس هو بلاء ، إذا أردت الحق ، ولكن المرأة تراه كذلك . وعندها أنك تبيع نفسك حين تحبها . ولا بأس بأن يبيع المرء نفسه أحياناً ، ولكن بيعها لا يستلزم أن تترك حبا وتكف عنه . وهل يعقل أن تفيض حبك على الناس والأشياء ولا تختص نفسك

ولهم عقول هجيبة في اختراع الألفاظ حتى لتكون شدة الوضوح في عبارة هي بيمينها الطريقة لاختفاء التموض في عبارة أخرى . وكثيراً ما يأتون بالألفاظ منتفخة تحسب جرأة بادية قد ملاءها معناها وهي في السياسة ألفاظ حبال تستكمل حملها مدة ثم تلد ولهم من بعض الكلمات السياسية كما لهم من بعض الرجال السياسيين ، فيكون الرجل من دعاتهم رجلاً كالناس وهو عندهم مسمار دقوه في أرض كذا أو مملكة كذا ، ويكون اللفظ لفظاً كاللغة وهو مسمار دقوه في وثيقة أو معاهدة

ثم ضحك الباشا وقال : إن أرضنا تُخرج القطن وسياستنا تُخرج الألفاظ كالقطن لا توضع في المنزك إلا مدت ومحوت (١) . وإذا ذهبنا نخالفهم في التأويل والتفسير لم نجد عندهم المعجم السياسي الذي يُعنى النص . أتدري يا بني ما هو المعجم السياسي ؟ أما إنه لو كان كتاباً يتألف من مليون كلمة لذهب كلها عبثاً وباطلاً ومهراء ، ولكنه ذلك المعجم الحى ، ذلك المعجم الذي يتألف من مليون جندي . . . . .

عبد القادر

(طنطا)

(١) لا يفس القارىء أن هذا كان في سنة ١٩٢٠

وحدث مرة أخرى أن كلفتني أن أشتري لها فاكهة وكنت أعرفها بحب الجوافة حباً جماً فانتقيت حبات طيبة الرائحة ذكية العبق واشتريت لها فاكهة أخرى ، ولكن الجوافة كانت هي المهمة والتي عليها الكلام ؛ وذهبت بعمل إليها ، ودخلت به ججرة الانتظار ، وقلت لخادمتها : « قولي لسيدتك صباح الخير يا نور العين . لقد حضر سيدك ، ونور عينك اليمنى - والبسرى أيضاً في الحقيقة - ومعه حمل يعبر من الجوافة يل من أبداع أنواعها »

فذهبت الخادمة وأبلغتها الرسالة فأطلت تلك من باب غرفتها - بوجهها فقط - وصاحت وهي فرحة - صحيح؟؟ جوافة؟؟ حلوة!! «

فتفتحت الكيس وأخرجت واحدة ورفعتهما لها بين أصابعي وأدرتها أمام عينها فابتسمت ابتسامة السرور وقالت : « حالاً . حالاً ... دقيقة واحدة » ودخلت

وبقيت أنا أعمشى في الحجر ، ولم يكن فيها ما يسلي المرء ، ولم يكن مني كتاب أقرأه وأزجي به الفراغ فجعلت أقوم وأتعد ، وأنظر تارة في المرآة ، وأمسح الطربوش تارة أخرى ، وأنفض عنه ما علق به من التراب . . ومسحت الحذاء أيضاً . . مسحته مرتين حتى صار جلده كالمرآة ، وحتى حدثتني نفسي أن أخلعه أنظر إلى وجهي فيه ، ولكنني خفت أن تدخل علي وأنا أفضل ذلك . . وتأملت الحرير الذي كسيت به الكراسي ، ورفعت طرفي السجادة وجسستها وفركت وبرها بأصابعي ، ثم لم أجد شيئاً آخر أصنعه في هذه الغرفة ، فانحطت على كرسي كبير وثير واضطجعت وفي مأمولى إذا نمت ألا توقظني حين تدخل . ولكنني لم أتم لأن رائحة الجوافة الذكية كانت قوية ، فقد نسيت الكيس الذي هي فيه مفتوحاً ، فتسور إلى أنقى أربيعها وملأ صدري وأدار رأسي ، فأحسست بالجوع ولكنني ضبطت نفسي وشدت على اللجام وقلت : « اللهم احرك يا شيطان ! » غير أن الشيطان شديد الغواية قوى الفتنة فجعل يقول لي : « وما حبة واحدة تأكلها فتقيم بها هذه الثعالب التي تمزق أحشاءك؟ » قلت : « والله لقد صدق العين . . فلا كل حبة واحدة من الجوافة اللذيذة . . ثم إن هذا عدل . . فأحلمها وأحرسها؟؟ وأكون كالعير التي يقولون إنها

أنظر إلى مخلوقاته التي أبدعها؟؟ وقد خلق لي عينين فلا عذري ، وورقتي غير ذلك وسائل القدرة على إدراك معاني الجمال في خلقه سبحانه . . أليس من الواضح أن مما ينجلني يوم القيامة أنه تعالى خلقني بصيراً فأرت العمى ، ومحساً مدركاً ففضلت الجهل والبلادة؟؟ وأخيراً - لا أخراً - ما الضرر على كل حال من النظر إلى الناس؟؟ ماذا خسرت الفتاة التي نظرت إليها؟؟ هل أنا أكلتها بعيني؟ هل نقصت شيئاً؟؟ إني أراها على العكس قد زادت . . نعم زادت . . لماذا تنظرين إلى هكذا؟؟ هل نطقت كفرة؟؟ أقول لك زادت لأنها استفادت إحساساً جديداً مؤيداً لاحساسها بجهاها ، ولو كنت لم أنظر إليها لكانت خليفة أن يساورها الشك فيما تحس من نفسها أو تعتقد ، فأنا قد أفدتها راحة البال واطمئنان خاطر ، وإني لجدير بالشكر على هذا اللوم» فصاحت بي بعد طول الصمت : « طيب اسكت بقى »

فقلت وأنا خجرت : « هكذا أنتن يا نساء!! إذا أعوزتكن الحجة قلتن : طيب اسكت بقى . . ولكني لأتوبى أن أسكت «بقى» فقد مررت لساني على الدوران وأنا أحس اليوم أني أوشك أن أقول كلاماً بديعاً »

فصاحت بي : « أنا معك فكيف تنظر إلي غيري؟ » فقلت : - وقد فهمت - « آه . . . هذه هي المسألة . . قولي هذا من الصباح يا ستي . . نعم أنت مني . . وإنك لحسبي من عالم الجمال والفتنة ، ولو وسعني غير هذا لما كنت حسبي . . ولكنني قانع غير متذمر . . غير أنك مع الأسف لت كل النساء . . وأنت تتنين عن جنسك أحياناً ولكنك لا تستطيعين أن تفنى عن هذا الجنس في كل حين ؛ وليس ذنبي أنك قاصرة . » فقاطعتني صائحة : « قاصرة؟؟ أشكرك »

قلت : « نعم قاصرة عن اختزال جنسك كله في شخصك الواحد »

فأبت أن تسمع مني بعد ذلك فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله . . الأمر لله . . سكتنا يا ستي . . فلعلك تكونين مسرورة » ولكنها لم تكن مسرورة ولم تغفرها لي قط . . وأنا أقول تغفرها بغير تعيين أو تبيين لأنني والله لا أدري إلى هذه الساعة أي شيء أغضبها وأثار قهقهتها على

صور سياحة

## ١ - فرنسا وباريس

بقلم سائح متجول

تأثرت مصر بالثقافة الفرنسية طوال القرن الماضي ؛ ولم يكن ذلك لأن مصر أمة من أم البحر الأبيض تميل بمخاوصها وموقعها إلى الأخذ بالثقافة اللاتينية ، ولكن لأن ظروفها خاصة اجتمعت منذ الغزوة البونابرتية لتحمل مصر فيما بعد على الاستعانة بالفرنسيين في مشروعات الإصلاح والتجديد وإرسال بعوثها العلمية الأولى إلى فرنسا . هذا هو الأصل في تأثر مصر بالثقافة الفرنسية ، وهو عارض تاريخي محض ، لا دخل فيه للعوامل الجغرافية أو الميول والخواص الجنسية ؛ ومن ثم فافازى أثر الثقافة الفرنسية في مصر بضمحل اليوم ، لأن مصر تختار اليوم نفسها من مختلف الثقافات ، لتبني ثقافتها القومية ، ولا تتف عند ثقافة دون أخرى

ومع ذلك فإزال الثقافة والآداب الفرنسية تحظى منا بأكبر عناية ؛ وما تزال فرنسا تجذب منا أكبر عدد من الزائرين ؛ وما يزال اسم باريس يثير في نفوسنا سحرا لا يقاوم ؛ بل إن كثيرا من أولئك الذين لم يروا باريس يعرفونها معرفة عقلية وروحية شاملة ؛ يعرفونها من الكتب والصحف والسينما ، وترتبطهم بها روابط فكرية قوية ؛ وما تزال أول أمنية للسائح المبتدى أن يرى باريس

وقد حظيت باريس من العرية بكتب ورسائل عديدة ، وحظيت في العهد الأخير بكتابين لاثنين من كتابنا المروفين ، وصفت فيهما معاهدها ومعانيها وجوانب كثيرة من حياتها الاجتماعية ، وانك لتقرأ في الكتابين فصلا وشذورا تفيض انجاسا بفرنسا وباريس وكل ما هو فرنسي ، بل إنك لتشعر من خلال تلك الفصول الحارة النعمة أن فرنسا هي أمة الأم ، وأن باريس هي مدينة المدن وإلهة الجلال والدلوم والفنون ؛ وما زالت هذه الألوان الوردية المفرقة تطبع كل ما نكتب عن فرنسا وباريس على أنه يلوح لنا أن هذه الفتنة التي قد تجعد مبرراتها في بعض المؤثرات والظروف الخاصة ، والتي تثيرها في معظم الأحيان

يقتلها النظما وهي تحمل الماء على ظهورها في القرب ؟ أو كالحمار الذي يحمل أسفارا ؟ ؟ . »

ومددت يدي إلى الكيس وأنا يقظان كناهم ، وتناولت منه من غير أن أنظر إليه : وطابت الجوافة في في ، فأقبلت عليها آكل وآكل - ولكن بغير احتفال والله - وإذا بصاحبتنا تدخل مؤهلة مرحبة بأسطة يديها للسلام ، ثم إذا بها تقف في وسط الغرفة الفسيحة وعينها مفتوحة جدا على ، فلم أستغرب ، فقد كان في عمشوا وأسناني تعمل دائبة كالليل والنهار . وتنبهت إلى واجبي حين رأيتها تحملني على هذا النحو ، فبامت ما بقى في في بسرعة ، ومططت عنق ليسهل الانزلاق - أعنى البلع - وانحنيت على الكيس لأتناوله وأقدمه إليها وأسرها به - أعنى بالجوافة التي فيه - وإذا به يتطبق بين يدي لأنه فارغ !!

الحق أقول إنني بهت ، فما كان يختر لي في بال أن آكل كل هذه الجوافة . ولو أن إنسانا راهني أن أفضل لفزعت وأشفقت على نفسي ، ولكن هذا الذي لم أكن أحسب أن لي قدرة عليه وقع اتفاقا . . . وقد سرني هذا في الحقيقة لأنه كان من بواعث الاطمئنان لي على صحتي ، وكان جديرا بها أن نهتنني وتفرح لي ، فان الجوافة كثيرة وهي في السوق أكوام عظيمة ، والجيد الطيب ليس بالقليل ، وغننه شيء فانه لا يستحق الذكر . . . ولكنها وجت يا أخي لا أدري لماذا ؟ ووقفت جامدة لا تتحرك كأنما سمعت إلى الأرض ، فأزهمني ذلك وخفت أن يكون قد أصابها شيء لا قدر الله ، وأقبلت عليها أسألها عما جرى لها ؛ فلما أفاقت أشارت يديها - دون أن تتكلم - أن اذهب . . . اذهب ولا تترني وجهك ؛ فاستغربت أن تلقاني بهذه الجفوة بعد ذلك الترحيب والتأهيل والبشر الذي كان يفيض به وجهها وهي مطلة به من زين مصراحي الباب ، وتمنيت لو أنها تبقى أبداً ووجهها بين المصراعين ليق لي بفرها وحلاوة ابتسامها !!

الحق أني لا أفهم النساء . . . وهل تستطيع أنت أن تفهم كيف يفسد الحال وتقع النبوة بين رجل وامرأة من أجل أفة من الجوافة ثمنها قرش ونصف قرش ؟ إن كنت تفهم هذا فاني أحمدك وأدموك بالتوفيق إن شاء الله

ابراهيم هبر القادر المازني

شراء يتراوح بين فرنك ونصف وثلاثة حسب النوع والحجم ؛  
وأما في المقهى فما خلا القهوة والنيذ والكونياك والبيرة ، فإن  
أثمان المشروبات الأجنبية تبلغ حدوداً تزداد دأماً في طلبها ؛  
والسجائر الفرنسية رخيصة ولكنها ضعيفة لا يقبلها الذوق ،  
والسجائر الأجنبية تكلف ضعف ثمنها وأحياناً ثلاثة أمثال ؛  
وأما التنقل في مدينة عظيمة كباريس فلست أحدثك عن  
« التاكسي » لأنه ترف لا يطيقه سوى الأغنياء ، ولكنني أقول  
إن أجور الأمتوبيوس والترام الذي بقيت منه خطوط قليلة هي  
الضعف وأحياناً ثلاثة أمثال أجورها التي نعرفها هنا ؛ ولولا شبكة  
الترام الأرضي ( التروبولتان ) التي تربط أحياء باريس وأطرافها  
ربطاً هيباً بأجر زهيد ( سبعين سنتياً أو نحو قرش صالح )  
لكانت باريس أنعم العواصم من حيث المواصلات

هذه أمثلة وملاحظات نفي بها السائح المتوسط ولا نمنى  
بها طبقة الطلبة أو أولئك الذين يلجأون إلى بعض الفنادق الشعبية  
الرخيصة حول الحى الجامعي في سان ميشيل وفوجيرار ، ويتناولون  
طعامهم في مطاعم الهال ، فهؤلاء حقاً يستطيعون أن يستثرونوا  
نوعاً من العيش الرخيص لا يستسيغه السائح التجول مهما كان  
من تواضعه وقناعته

ولا تنس إلى جانب ذلك الغلاء المرهق تلك الضريبة التمصفية  
التي أصبحت رذيلة اجتماعية شنيعة في فرنسا ( وفي غيرها أيضاً )  
ونعى « البقشيش » ، ففي كل مكان وفي كل مناسبة ، في التاكسي  
وفي المطعم والمقهى والمرح وأينما حللت ، يمثل شبح البقشيش ،  
ويطلب بالراح خشن ؛ وكل شيء يتطلب عطية حتى ولو لم تقدم  
أبه خدمة ؛ والشراء خلة بارزة لتلك الطبقة التي تحتك بها في كل  
لحظة ونمى طبقة الخدم والسقاء ؛ وروح الجشع تبدو في كل  
مكان ؛ وقد تدخل المسرح أو الملهى الواحد فيطلب اليك البقشيش  
أربعة أو خمسة متعاقبون من الخدم قبل أن تجلس في موضعك ،  
وإذا ترددت قيل لك إنا هنا لا نتناول أجراً ونتمتع على البقشيش ،  
وإذا لم تتذرع بشيء من الحزم والبرود كانت الخسارة فادحة ؛  
هذا إلى المفاجآت السيئة في الحساب ؛ ففي معظم الأحيان تدفع أكثر  
مما تتوقع لأسباب وأبواب غير مقبولة ولكن لا مفر من إجابتها  
ولقد قيل في يونيه الماضى إن البرلمان الفرنسى قد أقر قانوناً  
بالغاء « البقشيش » ، وقد صدر القانون فعلاً ، ولكننا أسأنا فهمه  
وإدراك مقصده ، فلم يكن قصد الحكومة الاشتراكية أن تحرم

أهواء وميول خاصة ، ويذكها الجهل بأحوال الأمم والعواصم  
الأخرى ، وانعدام روح المقارنة الذى تتضائل أمامه الصور  
والألوان الخلابية ؛ بلوح لنا أنها فتنة مبالغ فيها ، وأن شيئاً من  
الملاحظة البريئة ، وقليلاً من الاتزان في الوصف والرواية ،  
وطرح المؤثرات والاعتبارات الخاصة مما يماون على عرض صور  
أصدق وأدق من تلك الصور الوردية التي عرفناها وأفناها

ومهما يكن في هذه الصور القديمة من صدق ؛ ومهما يكن  
لهذه الفتنة القديمة من مبررات ، فأنا نقول لأولئك الذين يرون  
العالم كله في فرنسا وفي باريس : إن الأمور قد تغيرت أعظم تغير  
في فرنسا وفي باريس

وكاتب هذه السطور سائح متجول يرى ويلاحظ ، ولكنه  
لا يدعى الومسول إلى المجهول والخارق ، وإنما يلاحظ ويقدر ما تهدي  
إليه الشاهدة والتجارب بعيداً عن كل اعتبار وهوى

\*\*\*

لم تقدم فرنسا أية تسهيلات للسياحة سواء في مسألة التقد  
أو السكك الحديدية أو الفنادق أو غيرها كما فعلت ألمانيا وإيطاليا ،  
وما زالت تعتمد على جاذبيتها القديمة ؛ غير أن فرنسا تخدع اليوم  
في قيمة هذه الجاذبية ؛ وقد انحط موسم السياحة في فرنسا  
انحطاطاً عظيماً ، ولم تعد باريس كما كانت في الماضى تروج بمشترات  
الألوف من الأجانب ولا سيما الأمريكيين والانكليز ؛ وأهم عامل  
في هذا التحول هو ارتفاع قيمة الفرنك الفرنسى بالنسبة لتقد  
البلاد التي خرجت عن معيار الذهب . فالأمريكى أو الانكليزى  
أو المصرى الذى يزور فرنسا يفقد نحو أربعين في المائة من  
قيمة تقده ؛ أضف إلى ذلك الغلاء الفاحش الذى يفر كل شيء  
في فرنسا ؛ ففي الفندق والمطعم والمقهى ، وفي اللامى والتنقل  
وكل ما يتصل بالحياة اليومية ، نشعر بوطأة هذا الغلاء المرهق ،  
وتشعر كأن التقدي يذوب بين يديك سراعاً

ولنضرب أمثلة مادية ؛ فالغرفة البسيطة في فندق متوسط  
تكلف في اليوم من ٢٥ إلى ٤٠ فرنكاً<sup>(١)</sup> ( من ٣٣ إلى ٥٢ قرشاً )  
ووجبة الطعام في مطعم متوسط تكلف من ١٥ - ٢٥ فرنكاً  
( ٢٠ - ٣٣ قرشاً ) هذا عدا الخدمة وهي من ١٠ إلى ١٥ في المائة ؛  
وثن البيضة الواحدة في المقهى أو حيث تتناول إفطارك فرنكان  
ونصف ( ٣٥ قروش ) وثن الواحدة من الموز أو التفاح أو الخوخ

وأدائها، فالعامل والصانع والبائع والخادم والموظف الصغير، هؤلاء جميعاً يتصورون أنهم سادة الموقف في فرنسا، وأن المستقبل لهم. وإنك لتلاحظ هذا الأثر السمي بتويع خاص في طبقة العمال والخدم، فهم يؤدون أعمالهم بتكلف ولا يحفلون بشيء؛ وهم يشمرونك دائماً عند الحديث أنهم سادة مثلك، ولهم في ذلك إشارات وألفاظ وثقة. وقد كان لحوادث أسبانيا في هذه الطبقات أثر عميق ملموس؛ وكم سمنا في الفندق والمطعم وفي الشارع والتمرو من بعض أفراد هذه الطبقات أن الحكومة الاشتراكية إذا لم تجب مطالب الطبقات العاملة، وإذا لم تسع إلى تحسين الأجور وتخفيض مستوى المعيشة، فإن ما وقع في أسبانيا سوف يقع قريباً في فرنسا

وقد عرفت فرنسا أنها بلد الجدل السياسي؛ ولكن هذا الجدل يحتمد اليوم في فرنسا بشدة ظاهرة ويفر كل الطبقات؛ وقد تشهد هذا الجدل في الشارع وفي اللقبي وفي الترام، وتسمع أعرب الآراء وأشدها تطرفاً. وتلقى الصحف على اختلاف نزعاتها رواجاً عظيماً بين كل الطبقات، وتلقى الصحف والنشرات الاشتراكية رواجاً خاصاً بين الطبقات العاملة. وقد لفت نظري كتابان بمرضان للبيع بكثرة ويقبل الناس على شرائهما، أولهما رسالة عن حياة مسيو «ليون بلوم» رئيس الوزارة الفرنسية الحاضرة، والثاني كتاب عنوانه «دوربو رجل القند»، ودوربو هو النائب الشيوعي الذي خرج على الحزب الشيوعي وعلى أوامر موسكو وكون لنفسه شعبة خاصة تتقدم كل يوم في الأهمية والعدد؛ ويرى كثيرون أن دوربو هذا سيكون من قادة القند، وأنه ربما اضطلع بدور عظيم في التطورات السياسية المقبلة

ومما يلفت النظر بنوع خاص حالة القلق السياسي التي تسود فرنسا اليوم، وتبدو ظاهرة في كتابات الصحف وفي تطبيقات الأفراد، ويشمل هذا القلق الشؤون الداخلية والخارجية معاً؛ ففي ميدان الشؤون الداخلية يشمر الكثيرون بأن فرنسا مقبلة على تطورات سياسة هامة، وأنه ربما اقترنت هذه التطورات بشيء من العنف. وفي ميدان الشؤون الخارجية يرى الكثيرون أن احتمالات الحرب الأوروبية تتقدم بسرعة، وأن نشوبها ربما كان أقرب مما يتصور الناس، وأن فرنسا ستدعى في القريب العاجل إلى خوضها

الخدمة ومن إليهم من نعم هذه الضريبة الرذولة، بل كان قصدها أن تجمل «البقيش» حقاً وضريبة مشروعة لا عطية فقط، وأن تحفظ كرامة هذا الخادم أو العامل فلا ينتظر البقيش كعطية أو نفحة وإنما يرى فيه حقاً مكتسباً ينظم دفعه حسب الظروف والأحوال؛ ولهذا كان أول ما قرأنا في تعليقات الفندق في مرسيليا ما يأتي: «بما أن البقيش قد أُلغى، فقد قررت إدارة الفندق أن تحتسب بدل خدمة قدره عشرة في المائة!»

ومما يلاحظه السائح في فرنسا، وفي باريس بنوع خاص، أن الأمانة في المعاملات ليست متوفرة دائماً؛ وربما كان أول وأشهر التجارب التي يلاقها السائح في ذلك هي مسألة التاكسي؛ فإذا لم تكن تعرف الطريق أولك فكرة عنه فويل لك من السائق؛ وقلما تجد سائقاً يقودك إلى المكان المقصود مباشرة، ولا بد أن يطوف بك حيناً قبل أن يقودك إليه، وهيناً تلاحظ أو تعترض، وعند الحساب تضاف إلى الأجر ملحقات زائفة يؤديها السائق بالضرب والوعيد؛ والويل لك إذا ترددت في الدفع؛ وهذه تجربة أعتقد أن كل سائح مستجد يلقاها في فرنسا؛ وقد بلوتها غير مرة وسمعت في شأنها روايات مذهشة مضحكة معاً عن تفنن السائقين في إبراز اللحقات غير المشروعة. وإنك لتلقى مثل هذا الغش أحياناً في المطعم والمقهى إذا لم تحسن مراجعة الحساب؛ ومن الحق أن تقول إنك تاتي مثل هذه التجارب في غير فرنسا، وإنك تلقاها في إيطاليا وباقي أم البحر الأبيض، ولكن يندر أن تلقاها في أمة من الأمم الشمالية

وحب المال خلة مشهورة في فرنسا، وهي تذهب إلى حد الجشع الثير، وإنك لتلمس هذا الشره في كل المعاملات، وتشمر بأن روح المادة والاستغلال تطغى على كل شيء وكل اعتبار، ومن ثم كان شغف الكسب بأي الوسائل، وكان يجلي الأثرة وانعدام روح المعاونة والروءة في معظم الطبقات التي تحتك بها. ومن النادر أن تجد في باريس من يتقدم لمعاونتك أو إرشادك لمعرفة مكان أو غيره بشيء من التطوع أو الرقة التي تأنسها في بلاد أوربية أخرى؛ وإذا قدم إليك مثل هذا المون شمرت أنه مقرون بالسرعة والمن، وأحياناً بالتكلف والجفاء، كأن وقت الفرنسي كله وكله من ذهب؛ وكثيراً ما تجاب بهز الأكتاف «ليس عندي وقت» وأمثالها

هذا وقد أفسدت الروح الاشتراكية أخلاق الطبقات الدنيا

# الجانب الصوفي

## في الفلسفة الإسلامية

للدكتور إبراهيم بيومي مذكور

- ٣ -

تمتاز فلسفة الفارابي بظاهرتين رئيسيتين : نزعة روحية نالية ، واتجاه صوفي واضح . والمذهب الروحي والتصوف يقتربان في الواقع ويتلاقيان في نواح كثيرة . وهاتان الظاهرتان تبدوان لدى فلاسفة الإسلام بدرجات مختلفة . وقد نفذ التصوف الفارابي على الخصوص إلى أعماق المدرسة الفلسفية العربية وأثر في صوفية المسلمين بوجه عام . ولم يقف أثره عند القرون الوسطى ، بل تمداها إلى التاريخ الحديث . وبما أننا أسلفنا القول في شرح نظرية السعادة الفارابية وبيان مصادرها الأرسطية والأفلوطينية فإنه يجدر بنا الآن أن نناق نظرة على الأثر الذي أحدثته فيمن جاء بعد الفارابي من فلاسفة ومفكرين ؛ وكى تكون هذه النظرة مستوفاة يحسن أن نبين من جانب إلى أي حد تأثر كبار فلاسفة الإسلام بأراء الفارابي الصوفية ، كما تأثروا بأبحاثه الأخرى ؛ ومن جانب آخر ينبغي أن نحدد العلاقة بين هذا التصوف الفلسفي وما ذهب إليه صوفية المسلمين المتأخرون . وجبنا لو استعلمنا أخيراً أن نوازن بين نظرية السعادة الفارابية وبعض الأفكار الصوفية التي اعتنقها طائفة من الفلاسفة المحدثين . وبالجملة سنتابع هذه النظرية في خطواتها المتتالية إلى أن نصلها إلى المصور الحديثة ، وسنحاول عرض صورة مختصرة لتاريخها العام

إذا كان في فلاسفة الإسلام من يصح أن نسميه تلميذ الفارابي وخليفته الأعظم فهو بلا جدال ابن سينا . حقا إن التلميذ عدا على الأستاذ وأحق اسمه وانتزع مكانته وقضى على شهرته ، وأصبحتنا ونحن ننزوي إلى ابن سينا آراء وأفكاراً هي في الحقيقة من صنع الفارابي وابتكاره ؛ بيد أن الأول يعترف للثاني بأبوابه عليه ، ويفرله بالسبق والأولوية ، ويدين له بالخضوع

والأستاذية<sup>(١)</sup> . ولقد بلغ من تعلق ابن سينا بنظريات أستاذه أن بذل كل مجهود في تفهمها وأفاض في شرحها وتوضيحها بحيث منحها نفوذاً وسلطاناً لم تنله على يدى صاحبها وبتكرها . ورب فكرة فارابية غامضة مبهمه تبدو لدى ابن سينا ، وهو صناع الدين ، في ثوب نشيب ومظهر خلاب . وإذا كان ابن رشد هو شارح أرسطو غير منازع في الفلسفة المدرسية ، فإن ابن سينا هو شارح الفارابي الماهر في الفلسفة الإسلامية . وقد يؤخذ علينا أحياناً أننا نحاول تحليل أفكار الفارابي على ضوء ما كتب ابن سينا<sup>(٢)</sup> ، إلا أن الرجلين في رأينا متضامران ومتكاملان ، يوضح كل واحد منهما صاحبه ويتممه . ولئن كان للفارابي فضل السبق ، فلا ابن سينا فضل البيان والايضاح . ومن ذا الذي يدعى أن في مقدوره دراسة أرسطو دراسة كاملة دون الرجوع إلى شراحه من المشائين وغيرهم ؟ ولو احتفظ لنا الدهر بكل ما كتب الفارابي قللنا لم نستمن دائماً على تفهمه بمؤلفات أتباعه ؛ فأما وما وصل إلينا من كتبه تزييسير ، فنحن مضطرون إلى توضيح غامضه بمختلف الوسائل . على أن المؤرخ الذي يمتنيه أن يبين كيف نشأت فكرة ما ، يلزمه كذلك أن يوضح كيف نمت وتطورت

اعتنق ابن سينا مختلف آراء الفارابي الصوفية وتولاها بالشرح والدرس في رسائل متعددة نخص بالذكر منها كتاب الإشارات والتنبيهات ، وهذا الكتاب بين المؤلفات السينوية ( نسبة إلى ابن سينا ) بقيمة المقدم وجوهرة التاج الثمينه وثمره التصوح الكامل . يمتاز بسمو أسلوبه وعمق أفكاره وتعبيره عن آراء ابن سينا الخالصة التي لا تشوبها نظريات المدارس الأخرى . وقد وقف صاحبه الجزء الأخير منه على الأبحاث الصوفية ، ويقع في نحو خمسين صفحة نمد من أحسن ما خلفته المدرسة الفلسفية الإسلامية في هذا الباب . فقد أخذ ابن سينا على حسب عادته أفكار الفارابي وقصل القول فيها وعرضها عرضاً مسهباً مرتباً . فهو يحدثنا عن

(١) الففطى ، أخبار الحكماء ، ص ٤١٦ — ابن أبي أصيبعة ،

مبيون الأنباء ، ج ٢ ص ٤

(٢) هذا أمر عاب علىنا حديثاً صديقنا السيوكراوس في مجلة الأبحاث الإسلامية ( Rev. des Etudes Isl., 1935, p. 226 ) وقد أردنا أن نلفت الأنظار إليه

وانصال بالالم العلوي ؛ هي عشق وشوق مستمران ، وما العشق الحقيقي إلا الابتهاج بتصور حضرة الحق ؛ وما الشوق إلا الرغبة الدائمة في كمال هذا الابتهاج<sup>(١)</sup> . « والنفوس البشرية إذا نالت النبطة العليا في حياتها الدنيا كان أجل أحوالها أن تبقى عاشقة مشتاقة لا تخلص من علاقة الشوق ، اللهم إلا في الحياة الأخرى . وتتلو هذه النفوس نفوس بشرية مترددة بين جهتي الروبوية والسفالة على درجاتها ، ثم تتلوها النفوس المنموسة في عالم الطبيعة المنحوسة ، التي لا مفاصل لراقبها المنكوسة<sup>(٢)</sup> » . والوسيلة الأولى والرئيسية لادراك السعادة هي الدراسة والبحث والنظر والتأمل . وأما الأعمال البدنية والحركات الجسمية ففي المرتبة الثانية ، ولا يمكن أن تحل محل التهذيب الفكري والرقى العقلي بحال

قد يخيل للقارىء بعد هذا التحليل أن ابن سينا أميل من أستاذه إلى متصوفة القرن العاشر أمثال الجنيد والحلاج . ولا سيما وكتابه مملوءة بمصطلحات الصوفية وألفاظهم الفنية . فهو يردد كلمة الزهد والوجد والوقت ، وبين حقيقة المرید والمارف والمابد ، ويحلل بعض المواظف النفسية كالمشوق والشوق التي شملت كبار متصوفي المسلمين . غير أنه على الرغم من كل هذا لا يزال ابن سينا وفياً لأستاذه في نظرياته التصوفية كما وفي له في كل مذهبه الفلسفي ، ولا أدل على هذا من إعراضه عن فكرة الاتحاد التي زعمها الجنيد والحلاج وبقده لها تقدماً فيه دقة وتمق . فهو يرى أن غاية السعادة ليست إلا مجرد اتصال بين العبد وربّه يحظى فيه الانسان بضرب من الاشراف لا يصدران عن الله مباشرة ، بل بواسطة العقل الفعّال . وأما الاتحاد المزعوم الذي يقضى بأن يتدمج الخلق في الخالق فقير مقبول عقلاً ، لأنه يستلزم أن يكون الشيء واحداً ومتعدداً في آن واحد . ذلك لأننا لا نقبل أن نمد العقل الفعّال فرداً واحداً في الوقت الذي تقرر فيه أنه محتو على كل النفوس الواصلة ، كما لا نستطيع أن نعلم بفرديّة المارف في حين أننا نترف بأشتماله على حقيقة أخرى خارجة عنه . وانظر كيف يسوغ ابن سينا هذا الدليل . « قد يقولون إن النفس

« التجريد » و « البهجة والسعادة » و « مقامات المارفين » و « أمرار الآيات » ويشرح نظرية الاتصال شرحاً محتفياً . وهذا هو القدر الذي جمعه وترجمه مهران الى الفرنسية ونشره تحت عنوان : *Tratés mystiques d'Avicenne* . وهاكم نموذجاً من حديث ابن سينا المذنب ولغته السامية التي تترجم عن معان سبقه بها الفارابي يقول : « إن للمارفين مقامات ودرجات يُخصّصون بها في حياتهم الدنيا دون غيرهم . فكأنهم في جلايب من أبدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس . ولهم أمور خفية فيهم ، وأمور ظاهرة عنهم ، يستكروها من ينكروها ، ويستكبرها من يعرفها ، ونحن نقصها عليك . . . المارف يريد الحق الأول لا لشيء غيره ولا يؤثر شيئاً على عرفانه ، وتصده له فقط ؛ لأنه مستحق للعبادة ولأنها نسبة شريفة إليه ، لا لرغبة أو رهبة . . . المارف هشّ بشّ بسمّ يجعل الصغير من تواضعه مثل ما يجعل الكبير ، وينبسط من الخامل مثل ما ينبسط من النبيه . وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق وبكل شيء فانه يرى فيه الحق . وكيف لا يسوى والجميع عنده سواسية ؟ . . المارف لا يفضيه التحسّس والتحصن ، ولا يستهويه النضب عند مشاهدة النكر كما تترهب الرحمة فانه مستبصر بسر الله في القدر . وإذا أمر بالمعروف أمر برفق فاصح لا ينفخ مُعَبِّر . وإذا جُسم المروف فرجما غار عليه من غير أهله . المارف شجاع ، وكيف لا وهو بمزلة عن تقيّة الموت ؟ وجود ، وكيف لا وهو بمزلة عن محبة الباطل ؟ وصفاح ، وكيف لا ونفسه أهون من أن تخرجها زلة بشر ؟ ونساء للأحقاد ، وكيف لا وذكره مشغول بالحق<sup>(١)</sup> »

يصف ابن سينا كأستاذه المراحل التي تقود المرء الى السعادة ويتكلم عن الزهد والعبادة ، ثم عن العرفان الذي هو السعادة الحق . « فالمرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد ، والمواظب على نفل العبادات من القيام والصيام ومحوها يُخص باسم المابد ، والمتصرف بفكره الى قدس الجبروت مستديماً<sup>(٢)</sup> لشروق نور الحق في سره يخص باسم المارف » . وليست السعادة مجرد لذّة جسمية ، بل هي غبطة روحية وسمو معنوي

(١) المصدر نفسه ، ١٩٧

(٢) المصدر نفسه ، ١٩٨

(١) ابن سينا ، الأشارات والنيهايات ، ١٩٨ - ٢٠٦

(٢) المصدر نفسه ، ١٩٩

اختلافها . وأما الألفاظ الصوفية فقد لاحظنا آتفاً أنها أكثر لدى ابن سينا منها عند أستاذه

إذا كان الفارابي وابن سينا هما بطلان الدراسة الفلسفية في الشرق ، فإن باجة وابن طفيل وابن رشد هم أعلاها في الغرب . وبما أن البحث العلمي في الشرق أسبق منه في الغرب فإن أهل الأندلس مدينون لآخوانهم المشرق بكثير من آرائهم ونظرياتهم . لذلك لم يكن بدعاً أن تقتني المدرسة الفلسفية الأسيانية أثر المدرسة الشرقية ، وأن ترى ابن باجة وابن طفيل مثلاً يتبعان خطى الفارابي وابن سينا . وكما يسوءنا أننا لا نعرف حتى الآن عن ابن باجة الشيء الكثير ، فإن معظم كتبه قد باد ، وما بقي منها لا يزال مخطوطاً وموزعاً بين المكاتب الأوربية . وكتابه الرئيسي وهو تدبير التوحيد لم يصان عن طريق عربي ، ولو لم تحتفظ لنا المترجمات العبرية بأجزائه المهمة ما وقفنا على خبره . ويرجع الفضل في استكشافه إلى مستشرق إسرائيلي من رجال القرن التاسع عشر هو سلون منك صاحب الفلسفة اليهودية والعربية ومترجم دلالة الحائرين إلى الفرنسية . وإذا اعتمدنا على ما نقله (منك) أمكننا أن نقرر أن نظرية الاتصال الفارابية قد نالت حظوة كبيرة لدى ابن باجة . وكتابه تدبير التوحيد قائم على إثبات أن الإنسان يستطيع الاتصال بالعقل الفعال بواسطة العلم وتنمية القوى الانسانية<sup>(١)</sup> . والفضائل والأعمال الخلقية جميعاً ترمي إلى سيادة النفس العاملة واستيلائها على النفس الحيوانية . وبالجملة يجب على المرء أن يسعى جهده إلى الاتصال بالمالم العلوي مشتركاً مع الجمعية أو منزلاً عنها ، فإن كانت الجمعية صالحة فاسمها في مختلف شؤونها ، وإن كانت طالحة لازم الخلوة والانفراد<sup>(٢)</sup> . وهنا يبدو ابن باجة متأثراً بالصوفية المسلمين فوق تأثره بالفارابي ، فإن الأخير لم يدع إلى الوحدة قط ؛ ومن شرائط المدينة الفاضلة في رأيه أن تقود الأفراد إلى السعادة إن لم تصل بهم إليها . وكتاب تدبير التوحيد في مجلته مستقى من مؤلفات الفارابي وابن سينا ، اللهم إلا الجزء الخاص بنظام العزلة والانفراد فهذا تغلب عليه نزع صوفية بحتة

وسهما يمكن فقد وضع ابن باجة الحجر الأساسي في بناء

الناطقة إذا عقلت شيئاً فأنما تعقل ذلك الشيء بانصافها بالعقل الفعال وهذا حق . قالوا وانصافاً بالعقل الفعال هو أن تصير هي نفس العقل الفعال ، لأنها تصير العقل المستفاد ، والعقل الفعال هو نفسه يتصل بالنفس فيكون العقل المستفاد ، وهؤلاء يبن أن يحملوا العقل الفعال متحيزاً قد يتصل منه شيء دون شيء ، أو يحملوه متصلاً بكيته بحيث يُصير النفس كاملة واصلة إلى كل معقول ( وكلا الترضين باطل ) ، على أن الاحالة في قولهم إن النفس الناطقة هي العقل المستفاد حيناً بتصورونه قائمة<sup>(١)</sup> . ويضيف ابن سينا إلى هذا : « إن قول القائل إن شيئاً ما يصير شيئاً آخر لا على سبيل الاستحالة من حال إلى حال ولا على سبيل التركيب مع شيء آخر ليحدث شيء ثالث بل على أنه كان شيئاً واحداً فصار حداً آخر ، قول شعري غير معقول ، فإنه إن كان كل واحد من الأمرين موجوداً فهما اثنان متميزان ، وإن كان أحدهما غير موجود فقد بطل الذي كان موجوداً<sup>(٢)</sup> »

فصوف ابن سينا لا يختلف إذن عن تصوف الفارابي في شيء ، وسيلتهما وغايتهما متحدتان . يقول البارون كارادي فو : « لا يبدو التصوف عند ابن سينا إلا في آخر المذهب كتاج له ، وهو متميز تماماً من الأجزاء الأخرى ؛ وابن سينا يدرسه دراسة فنية كأنه فصل من الفلسفة بشرحه شرحاً موضوعياً ، وبالعكس ينفذ تصوف الفارابي إلى كل شيء . والألفاظ الصوفية منتشرة في كل ناحية من مؤلفاته ؛ ونشعر جيداً أن التصوف ليس مجرد نظرية اعتنقها ، بل حالاً نفسية<sup>(٣)</sup> . ونحن نسلم مع البارون أن تصوف الفارابي — على عكس ابن سينا — يعبر عن عاطفة صادرة من القلب ، وحياة الرجلين تشهد بذلك ، ولكننا نرفض من الناحية النظرية أن يكون تمت فرق بين تصوف التلميذ وتصوف الأستاذ ، كلاهما يعتمد على أساس واحد ، ويشغل مكاناً متعادلاً في مذهبيهما ؛ وكل ما هنالك من تباين هو وضوح ابن سينا وطريقته التعليمية المنظمة التي يدرس بها المسائل على

(١) المصدر نفسه ، بصرف ، ص ١٧٩ — ١٨٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٠

(٣) Carra de Vaux, Eucyc. de l'Isiam, II. p. 58.

Munk, Mélanges, p. 410. (١)

Ibid, pp. 398—99. (٢)

مشكلة الاتصال بالعقل الفعال دراسة علمية منظمة ، مبيّنة أن هذا الاتصال في ذاته لا يتناقى مع أصول علم النفس المعروفة . وقد وضع في هذا الموضوع ثلاث رسائل مستقلة احتفظت لنا المصادر العبرية باثنتين منها<sup>(١)</sup> . وهو يرى أن الطفل يولد وفيه استعداد لتقبل المعلومات العامة ، فإذا ما أخذ في الدراسة والتعلم تحول هذا الاستعداد إلى عقل بالفعل ، ولا يزال هذا العقل ينمو ويرق حتى يتصل بالعقول الفارقة ويستمد منها الفيض والالهام ، وهذا هو الكمال الأسمى الذي نطمح إليه جميعاً ؛ والطريق الموصلة إليه هي تنمية المعلومات وترقية الدارك الانسانية ، فالعلم وحده سبيل السعادة والاتصال بعالم العقول والأرواح . أما ما يذهب إليه المتصوفة من أن الانسان يستطيع الصعود إلى هذه المرتبة دون علم ولا بحث فادعاء باطل . وقول هراء<sup>(٢)</sup> . وعمل في هذا الذي قدمنا ما يكفي لاثبات أن ابن رشد اعتنق كزملائه فلاسفة الأندلس الآخرين — وإن يكن أقلهم تصوقاً — نظرية السعادة الفارابية . ومن الغريب أنه لم يدخر وسماً في نقد الفارابي وابن سينا وتجريحهما ، ولا سيما إذا أحس منهما انحرافاً عن سنة أرسطو ، ومع ذلك لم ينبج من أثرهما ، ولم يستطع أن يكون لنفسه مذهباً مستقلاً يخالف مذهبهما ، وهو أشد ما يكون تأثراً بهما في المسائل التصوفية . فهو يعلن مثابهما أن السلم سبيل الوصول والسعادة الروحية ، وأن أسمى درجات الكمال أن يحترق المرء الحجب ويرى نفسه وجهاً لوجه أمام الحقائق العلوية ، ويرفض رفضاً باتاً أن يكون تقشف الصوفية وزهدهم وسيلة التجرد والاتصال ؛ فن الفارابي إلى ابن رشد اعتنق فلاسفة الاسلام بلا استثناء نظرية السعادة . والفارابي وابن سينا يدعمان هذه السعادة رأساً على الدراسة والنظر ، مع الاحتفاظ بمكان للعقل العملي والحركات الجسمية ؛ وابن باجة وابن طفيل يوسمان الجانب العملي ؛ وابن رشد يعود أخيراً فيقرر مع أرسطو أن الخير الأسمى لا يتم إلا بالعلم والتأمل

(تبع)

ابراهيم بيومي مذكور  
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

(١) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٢ ص ٢٧ — ٢٨  
Munk, Mélanges, p. 437  
Ibid., p. 454. (٢).

المدرسة الفلسفية الأسبانية وسار على نهجه ابن طفيل . وحيات ابن طفيل غامضة غموض حياة ابن باجة ، ومؤلفاته ليست أعظم حظاً من مؤلفات سابقه فقد باد معظمها ولم يبق منها إلا شذرات متفرقة . بيد أن روايته الفلسفية المشهورة ( حي بن يقظان ) التي وصلت إلينا تشتمل على مذهبه عامة في أسلوب جذاب وخيال بديع ، وتمتد هذه الرواية من أطرف ما خلف فلاسفة الاسلام ، وقد ترجمت الى لغات عدة ، وكانت في غالب الظن نموذجاً نسج على منواله روبنسون كروزو . وابن طفيل يحاول أن يثبت فيها أن القوى الانسانية تستطيع وحدها الاتصال بالله . فقد تصور شخصاً نشأ منزلاً عن الناس ولم يتأثر بالجمعية قط ومع هذا تمكن بعقله الفردي إدراك الحقائق الكونية والتدرج منها إلى حقيقة الحقائق التي أفاضت عليه بالنور والمعرفة ، وهذا الشخص هو « حي بن يقظان » الذي ولد في جزيرة قرب خط الاستواء ولم ير أباً ولا أمّاً ، وإنما منجته الطبيعة غزالة تولت إرضاعه وتنشئته<sup>(١)</sup> . ولم يكذب وبترعرع حتى أتجه نظره إلى ما حوله ، فبحث في الظواهر الكونية وسر تغيرها ، وانتهى إلى أن وراءها أسباباً خفية تتصرف فيها وصوراً تشكلها ، وهذه الصور صادرة عن كائن قديم يسميه الفلاسفة العقل الفعال<sup>(٢)</sup> . ولم يزل يبحث ويصل حتى أدرك أن سعادة الانسان وشقاؤه راجعان إلى قربه من ربه وبعده عنه . ووسيلة القرب والصعود إلى عالم النور والملائكة هي النظر والتأمل<sup>(٣)</sup> . وسواء أكان هذا القرض مقبولاً أم مرفوضاً لدى علماء الاجتماع المحدثين فإنه يبين لنا أولاً كيف تأثر ابن طفيل بفيلسوف الأندلس الأول ابن باجة ، فإن « حي بن يقظان » يحمل في ثناياه كثيراً من خصائص « التوحيد » التي أشرنا إليه من قبل . وثانياً في لفة « حي » الخيالية وصوره المجازية ما يمبر تعبيراً صادقاً عن نظريات الفارابي في السعادة والاتصال

أما ابن رشد فلم ينبج هذا النحو الخيالي الفرضي ، بل درس

(١) ابن طفيل ، حي بن يقظان ، ص ٣٠ — ٢٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٥ — ٨٦ ، ١٦٣ — ١١٤

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ — ١٥٨

كانت أنجلترا رائدته وكان من أبنائها كثير من أئمة النهضة العلمية الحديثة في علوم الفلك والحياة والطب والنفوس وغيرها ويلاحظ أن هناك اختلافاً في توالى النهضتين في الأمتين : فقد كانت نهضة العرب العلمية الأولى داخلية وليدة الدين الذي نشأ بين أظهرهم ، وكانت الثانية خارجية آتية من نقل علوم الأمم الأخرى ، بينما في أنجلترا جاء هذا النقل عن الأقدمين أولاً ثم كانت النهضة التالية داخلية نتيجة لتحسين أبناء البلاد اسماً نقلوه من علوم غيرهم

وقد أوفى العرب على الغاية في الشغف بالعلوم والجد في تحصيلها ، وأظهر أسرارهم من التقدير للمسلم وأهله والرغبة في خدمته والبذل في سبيله ما لم يظهره ملوك دولة في التاريخ ، وكانت رعايتهم للعلماء — بمكس ما كان تقريبهم للشعراء — جليل النفع بعيد الأثر

وكان للعرب من اللغة العربية الرحبة الجوانب ، الطيبة الأسلوب ، الغنية بطرائق الاشتقاق ، خير معوان في جدمهم في درس العلوم ، وامتلات جوانب اللغة بضروب الدراسات والثقافات ، وكان رقيها الملمى في عهد الدول الاسلامية يفوق كثيراً رقيها الأدبي : فبينما ظل أدباء الجاهلية دائماً أساتذة للتأخرين يمتدنونهم في الأدب ، أسمن علماء الاسلام وفلاسفته في مذاهب من التفكير والبحث لم يسمع بها الجاهليون ولا خطرت لهم على بال

ولم يقصر أدباء العربية عن غيرهم في تلك الحلبة العلمية المحترمة ، ولم يكونوا دون سواهم شغفاً بالعلم وطلباً لشوارده ، بل كان أكثرهم مثقفين ثقافة علمية وأدبية عالية ، وقد تلقوا علومهم على طريقة عهدهم : فن نشأ في يسار أحضر له المؤدبون ، ومن ترعرع في بيت علم وفضل قام أبوه بتأديبه ، ومن قصر به جده عن هذا وذاك تنقل بين الأدباء واختلف إلى العلماء حيث كانوا يجلسون للدرس ؛ أما المدارس والجامعات فلم تنشأ إلا متأخرة ، قبيل بدء عهد الركوند الفكري ، ولم يكده يتخرج فيها علم من أعلام الأدب

وكان من خصائص الثقافة الاسلامية ترى أطرافها واختلاف أجناس الخائضين غمارها وشموها شتى العلوم والمذاهب والمقائد من متفرق الأمم وامتزاج العلم بالأدب والدين بالفلسفة فيها ، وقد ظهر أثر كل هذا في المؤلفين وفي مؤلفاتهم : كانوا

## طور الثقافة

في الأدبين العربي والانسكيزي  
للأستاذ فخري أبو السعود

بمر أدب كل أمة بثلاثة أطوار كبرى تتبع عهد رقي الجماعة : فطور المحمجية يليه طور البداوة ويلي هذا طور الحضارة ؛ وفي الطور الأول لا يكون للأدب وجود مستقل بنفسه ، بل يكون الشعر تعبيراً ساذجاً عن بسيط العواطف ممتزجاً بالبناء والرقص ، ويكون النثر شذوراً من الخرافات والمنتقادات المتوارثة عن الآلهة والجنان وقوى الطبيعة ؛ ويأتي الطور الثاني بارتقاء عقاية الجماعة بممارستها أعمالاً أرقى وأدق واختلاطها بالأمم الراقية ؛ وفي هذا الطور يتميز الشعر ويستقل عن غيره من الفنون وتتسع جوانب النثر ، ولكن يظل الشعب على ردم ارتقائه العقلي فطرياً متبدئياً ، حتى إذا عبر هذا الطور إلى طور الحضارة ازداد ترفاً في الحياة ومارس العلوم المنظمة وعرف الكتابة ، فظهر في أدبه أثر الثقافة والفن والصناعة

وقدم الأدب العربي بالطور الثاني من هذه الأطوار في عهد الجاهلية وصدر من الاسلام ؛ ففي ذلك العهد كان العرب على جانب يستد به من الرقي العقلي لمزاوتهم التجارة ووقوفهم على حضارة الفرس والروم ، وفي ذلك العهد فضحت اللغة العربية فصحاء عظيمي وبلغ الشعر من الرقي شأواً بعيداً ، بيد أن الأدب ظل فطرياً بعيداً عن أثر الثقافة والدراسة والتدوين والصنعة ، ثم نهض العرب نهضتين علميتين في مدى قرنين : أولاهما بظهور الاسلام ونزول القرآن وفتح الأقطار ، والثانية بترجمة علوم الأقدمين ، وبذلك انتقل الأدب العربي إلى الطور الثالث من أطوار رقيه : طور الحضارة والثقافة

وقد انتقل الأدب الأنكليزي إلى هذا الطور أيضاً بنهضتين متواليتين : الأولى في القرن السادس عشر بوصول حركة إحياء علوم الأقدمين — اليونان والرومان — من أوروبا إلى أنجلترا ، والثانية في القرن التاسع عشر عقب التقدم الصناعي الملمى الذي

تكوين الأديب وتوسيع أغراض القول ؛ ويكثر الالساغ إلى اليونان والرومان : تاريخهم وأساطيرهم ومشهورى رجالهم فى الأءب الانبليزى ، كما تكثر الاشارة إلى الجاهلية والجاهليين فى الأءب العربى

ويتشابه رجال الأءدين فى الرحلة عن الوطن فى نشدان العلم : فقد كان أءباء العربية يطوفون فى البلاد فى طلب أئمة العلوم يلزمونهم ، وفى طلب نوادر الكتب يستسخونها ، وربما أضافوا إلى ذلك حج البيت الحرام . وكذلك جرت سنة الأءباء والتعلمين عامة من ذوى اليسار الانبليزى على الارتحال بعد نيل درجاتهم العلمية إلى أوروبا وخاصة إلى إيطاليا بمبث النهضة الأوربية ، وربما أضافوا إلى ذلك الحج إلى آثار بلاد الأغرريق مهد العلوم والآداب والفنون القديمة ؛ ولهذا الرحلة عن الوطن — فضلاً عن كسب العلم ومصاحبة العلماء — أعظم الأثر فى تكوين نفس الأءيب وتوسيع أفق خياله

وكان لانتشار الثقافة فى الأئتين آثاره المتشابهة فى الأءدين : فارتقيا خيالاً وأسلوباً وأغراضاً ومعانى ؛ واتصمت جوانبهما ، وظهر فيهما التفنن والصنعة المقصودة ، وظهرت لغة علمية دقيقة التعبير بجانب لغة أدبية أنيقة التحبير ، وظهرت روح النقد وتجلت نزعة الشك من جراء اصطدام العلوم للمتحدثة بالمقائد الموروثة ، واشتدت المنازعات الأدبية ، واحتدمت المشادات بين أنصار القديم وأتباع الجديد ، وظهرت آثار المذاهب الفلسفية واصطلاحات النظريات العلمية فى رسائل الكتاب وقصائد الشعراء ، ونبغ من المثقفين من يجمعون بين صناعى العلم والأءب ولا ريب أن هذا الطور الثالث من أطوار رقى الأءب التى أشير إليها فى صدر هذه الكلمة — طور الحضارة والثقافة — هو أرقى ما يصل إليه الأءب وفيه يتال ما قدر له من أسباب السكال ، وفيه أنتج الأءب العربى خير نتاجه ، فالأءب لا يبلغ غايته إلا فى حضارة تحيط به ، وثقافة تنمذيه ، وروح قد تستحبه . وقد دام هذا الطور الأءبى فى العربية زهاء ثلاثة قرون حافلة ، تحلّف لنا منها تراث زاخر يشهد بشغف العرب بالعلم وولوعهم بالأءب ، ثم عملت عوامل الفساد السياسية والاجتماعية عملها ، فاضطرب المجتمع ، ووجدت الأفكار ، ودخل الأءب فى طور تدهوره الطويل .

فربى أبو السمر

طموحين فى طلبهم العلم يبنون تمثّل كل ما فى عصرهم من مناسى التفكير ، وكانوا كذلك طموحين فى مؤلفاتهم يحبون أن يودعوا كل فن . ولو أردنا أن نشير إلى الأءباء الذين نالوا حظاً عظيماً من الثقافة لأحصينا أكثر أءباء العصر المباسى الزاهى بين القرنين الثانى والثامس الهجرى . ويكفى أن نذكر من الشعراء الممرى الحكيم المعنى بشؤون الكون والفلك والحياة الاجتماعية ، ومن الكتاب الجاحظ العالم الكلف بدراسة الحيوان وتذوق كل قديم وجديد وقريب وبسيد فى الحياة والكتب ، والذى كان — كما قيل — يتأجر المكاتب ليلا ليبيت فيها يستوعب محتوياتها تتامل الكتاب والشعراء فى الأخذ من الثقافة بنصيب ، ولكن كان الكتاب على الموم أوفر حظاً من الثقافة عامة ومن العلوم خاصة ، وانصر بمض الشعراء على الدراسة الأدبية ، لأن الكتاب كانوا يترشحون للوزارة وكتابة الدواوين والولاية وتأديب أبناء الأمراء ، ولا بد لتلك المناصب من دراية واسعة وإلمام شامل ، ولأن كثيراً من الشعراء لم يكن للشعر عندهم غاية وراء استدرار الصلات والجوائز ، ولم تكن وظيفته عندهم تسجيل الآراء والطوائف النفسية ، فلم يكن بهم كبير حاجة إلى دراسة العلوم التى تهذب الفكر ، بل كان حسبهم أن يقفوا على مذاهب القول التى سلكها المتقدمون من الشعراء المداحين ، والبهترى أبرز أولئك الشعراء الذين عاشوا فى صميم عهد الثقافة بنجوة منها ، فقد كان حربصاً على استبقاء انسذاجة البدوية ، وجاء أكثر ديوانه الضخم مدحاً لمن يرجو عندهم المطاء ، وهجواً لمن خيخوا منه ذلك الرجاء

كان أعلام الأءب الانبليزى كذلك على جانب عظيم من الثقافة ، وقد حصلوا — عدا من تمدت بهم ظروف غير مواتية كشكسبير وجونسون — علومهم فى الجامعات التى أخذ نظامها عن العرب وأصبحت مواطن العلم والدرس ، ونبّه صيت بعضهم وهم ما يزالون طلاباً بها ، ونشترك ثقافتهم مع ثقافة أءباء العربية فى الاشتهال على الفلسفة اليونانية ؛ ولكن بينما كانت دراسة الأءب العربى القديم تم الباقى من ثقافة الأءيب العربى ، كانت دراسة الأءب اليونانى تكمل ذلك الجانب من ثقافة الأءيب الانبليزى . ومن ثم كان معظم الأءباء الانبليزى ملين باللغتين اليونانية واللاتينية ؛ ولمرفة اللغات أثرها العظيم فى

# قصة المكروب

## كيف كشفه رجاله

### ترجمة الدكتور أحمد زكي

مدير مصلحة الكيما

صدر المهرج (١)

أرد متشيكوف أن يفسر حصة الانسان من الأمراض فنهبا الى كويث دمه البيضاء ، وأسمى هذه الكريات بالفاجوسات ومعناه (المتهم) لأنها تلهم المكروب الداخل في الدم تنهضه وتدعه . فالحسين من الناس من قويت فاجوساته على المكروب النازي ، والقابل للندوى منهم هو الذي تضف فاجوساته من المكروب تنهزم أمامه . وقاد متشيكوف النطاق عن النظرية الفاجوسية في باريس ، وقاد الألمان مدفوعين بالداء الياسي للفرنسيين حركة منظمة ضد هذه النظرية . ومزوا حصة الناس الى بعض حصص في مصل دماتهم . وبالغ متشيكوف في كراهة الألمان فلم يظن أن يسع من أحد أن لمصل الدم شأناً في حصة الانسان أصلاً

## الحصانة واليهودي الأفاق

ولم يكن نعمل الذي استقله متشيكوف في معهد بمتور مملأ فحسب ، فقد كان فيه من الألوان ومقتضيات الفن ما في مشتل رسام Studio ، وكان فيه من أسباب التفرج والتسلي ما في مهرجان لهر منسوب بقرية ، وكان فيه من الحمية والحرارة واللذة القوية ما يجده المشاهد في مسرح (٢) circus كثير الشباب رحب الجنب ، فلا تعجب بعد ذلك إذا علمت أن الشباب من أطباء أوروبا قصدوه من كل ركن فيها يطلبون صيادة المكروب عنده ؛ أما عقولهم فانطاعت عقوا لهذا الباحث الكبير ، وقد كان كذلك متوماً متناطيسياً خطيراً ، وأما أصابهم فقد سبقهم الى إجراء عشرات الألوف من التجارب التي انطلقت من رأس أستاذهم حينئذ كما تنطلق الصواريخ في الألعاب النارية من أصولها المتفرقة كأي بك تسمعه ينادي : « ياسيد سلتيكوف ! هذا تلميذ للأستاذ بفيغار الألماني يقول إن مصل الخنزير الفيني يستطيع أن يمحي خنازير أخرى غينية من الموت بكولييرا الخنازير . فهل لك أن تفضل بإجراء تجربة تمتحن بها هذه الدعوى ؟ » فلا يكاد يتلقى

(١) انظر العدد ١٥٨ من الرسالة

(٢) لمب مثل غالباً يصنعن ألمانيا بهلوانية يظهر فيها اللاميون حفاً فاعراً ومحاظرة بالأرواح كبيرة

هذا العابد لسيدته ميثبة متشيكوف حتى يهرع الى تحقيقها ، وهو يعلم حق العلم أي تحقيق يُراد - تحقيق أن هذا الأستاذ الألماني إنما ادعى باطلاً وقال خرفاً . وكانت تعرض لمتشيكوف مئات من تجارب دقيقة لا تصبر عليها أصابعه اللولة فيدفع بها الى بلاجو فستشسكي Blagovestchensky أو الى هوجنشميت Oheorgiewski أو الى هجر Wagner أو الى غرجيفسكي

Savtchenko الذي نسيه الناس الآن ، أو إذا كان هؤلاء مشغولين إذن فالى زوجته ألجا فقد كان يفرها بترك ما هي فيه من رسم الزيت أو تشكيل الصلصال لتقوم ببعض هذه التجارب ؛ وكانت جديرة بمحل أعقد المُقد . ففي هذا العمل كان مائة قلب ولكنها دقت معا ؛ وكان به مائة رأس ولكن بها فكرة واحدة ولها غاية واحدة : أن تكتب أنشودة شعرية حماسية كبرى عن تلك الكرات الصغيرة المكوّرة الشفافة الأفاقة التي تدور في دماغنا تتشم من مكروبة عادية قاتلة ، فاذا وجدتها سبحت نحوها واخترقت جدران الأوعية الدموية اليها حينئذ كانت ؛ فاذا لقيتها فالجرب العوان بينهما حتى يذهب السوء التذرع عن الجسم أو هي تموت دونه وكانت المؤتمرات الطبية الكبرى في تلك الأيام مؤتمرات صاحبة نازة ملؤها الحجاج في أمر المكروب وأمر الحصانة ؛ وكان متشيكوف يحضرها دائماً ؛ فقيل اجتمع أحدها بأسابيع كنت ترى معمله لا يهدأ أبداً من كثرة ما تروح الأقدام وتجي فيه ؛ وكنت تسمع متشيكوف يصبح رجاله : « هيا ، هيا ، هيا ، فلا مندوحة من الإسراع حتى تم كل التجارب التي يزيدنا لأثبات حجتي » . فيقوم الأعوان المخلصون المابدون باقتصاد ساعتين فساعتين من نومهم كل ليلة في سبيل العمل ؛ ويشتمر متشيكوف نفسه عن ساعديه ، ويرفع محفته يمينه ويضربه في شتيت الحيوانات وعديدها ، يحضرها له مساعدوه حتى يتسبب العرق من جباههم . فن صفار أنواع كبيرة من الخنافس Rhinoceros beetles إلى الضفادع الخضراء (١) إلى التماسيح ، إلى سميدرات مكسيكية عجيبة axolotis (٢) ، حتى لجرأوا الشباك في قيمان البرك يطلبون سمك الفرخ perch والجذجون gudgeon (٣) . نعم يقوم بحثنا الفيلسوف المجنون على

(١) نوع من الضفادع تكثر سكانها في الولايات المتحدة وكنا ظهره

أخضر (٢) أنواع من الضفادع تعيش في بحيرات المكسيك الجبلية

(٣) كلاما سمك يعيش في الماء العذب

تلك الخلايا الأفاقية ، تلك الفاجوسات التي لا تحتمل الحياة خارج الجسم طويلاً ؛ ماتت فانسقت فخرجت منها تلك البشلات الحية التي كانت ابتلعها وهي في بطن الخنزير . فلم يُلبث متشنيكوف طويلاً حتى حقن هذه البشلات في خنازير غير حصينة فأسرع ما قتلها

وبهذه التجربة ، وبمشرات من تجارب بارعة من أمثالها ، أرغم متشنيكوف خصومه فاعترفوا له بأن الفاجوسات تلتقم المكروبات الخبيثة أحياناً . ولكن الذي يؤسف له أن متشنيكوف أضاع حياته وأنفق طاقة عقله الجبار في عمل تجارب قصد بها الدفاع عن فكرة حيوارية لا كشف أسرار الطبيعة . نعم لقد كانت تجاربه بديعة مألوفة ، وكثيراً ما كانت تُلذِّذ الفكر وتُمتع الخيال ، ولكنها كانت مصطنعة اسطناً ، وكانت ترى ببدأ عن الفرض الأهم الأخطر وهو كشف السر في أننا حصيدون . كان له رأس يقصدو على احتواء الكثير الشيت من المعارف ، فما كان أجدرها أن تتجه بكل حولها وذخيرتها الى حل عقدة الحصانة ، فتفسر لنا كيف أن الطفل قد ينشأ في مباءة من السل ثم هو لا يبيته ، بينما طفلة أخرى تُنشأ على قواعد الصحة في عناية وحذر فلا تبلغ سن العشرين حتى تموت من السل . هذه هي أحجية الحصانة المتغلقة ، وهي الى اليوم حجية مستغلقة . فانظر ما كان يصنع تجاربه متشنيكوف ؟ كان يقول : لا شك أن الفاجوسات في هذه الحالة لا تعمل عملها ، فهي لا شك لأصراً ما تطلت » ، ثم هو يهرع الى العمل ليدهش خصيمه بآيات أن فاجوسات التماسيح تأكل بشلات حى التيفود . وما للتماسيح وللتيفود وهو لا يصيها أبداً !

وأخلص له مساعدوه في العمل إخلاصاً نادراً جيبياً ، فأذنوا له فاطمهم بشلات حية خبيثة من بشلات الكوايرا ليثبت أن الدم لا دخل له في حصانتنا منها . وبلغ البشلات فيمن بلغ شابة من تلك الأوانس الجليات اللاتي كان يسترشد بوجوههن ويستوحى من فتنهن ، ومضت سنوات أعرم فيها باللبس بأرواح أعوانه البُحاث وهم عباده الطائمون ، وأقر بأنه إنما كان جنوناً ذلك الاغرام . وليس شيء يُعذره من هذا الاغرام ويصفح عنه هذا الاجرام إلا أنه هو نفسه لم يتأخر خطوة عن مسيرتهم بالمخاطرة بحياته ، بل لقد بلغ هو نفسه من أنابيب البشلات أكثر مما بلعه أبهم منها ؛ وفي أثناء هذا التلاعب

كل هذه الخلائق الهادئة النظامية التي لا تشكو ولا تتضرر فيطلق فيها المكروب من عفائه وقد لمت عيناه واحمر وجهه المريض فبات كاللب التاجع من خلف لحيته ، وقد تلوث شاربه بما تنثر عليه من المكروبات بسبب انفعالاته النفسية وتلويحاته الشعرية . وكان يقول : « أنا إنما أكثر تجاربي هذا التكثير لأزيد نظريتي إثباتاً »

كان عقل متشنيكوف لا يفتأ يتخيل الخيالات عن الطبيعة ، ويتدع القصص عن الكون ، ولكن من العجيب الدهش أن هذه الخيالات كثيراً ما تحققت عند التجربة ، وهذه القصص كثيراً ما ثبتت عند البحث والاستقصاء . صاح الماني يقول : « ليس في نظرية الفاجوسات التي خلقها متشنيكوف شيء ذوبال أو خطر كبير ، فكل الناس يعلم أن المكروبات قد ترى داخل الفاجوسات ، ولكن هذه الفاجوسات الأفاقية لا تخفُر الجسم ولا تدفع عنه سوما ، وإنما هي قشاشة تأكل من الفضلات ما تلتق ، فهي إذا أكلت المكروبات فلا تأكل إلا الميت منها » . وكان المؤتمر اللندني لعام ١٨٩١ يزاد مواعده اقتراباً ، فصاح متشنيكوف يطلب خنازير غينية ، فلما جاءته حقنها فحسنتها ببشلات تشبه بشلات الكوليرا كان اكتشفها صديقه القديم النكود الدكتور (جاليه) ؛ وبعد أسبوع أو نحو أسبوع قام هذا الفيلسوف اللحياني<sup>(١)</sup> فحقن زريعة حية شريرة مخطيرة من هذه البشلات في بطون الحيوانات الحصينة ، وأخذ في السامات التي تلت يتحصن من هذه البطون في فترات قصيرة قطرات من سائلها بواسطة أنبوبة دقيقة من الزجاج ، ثم يضع هذه القطرات تحت عدسة مجهره القذرة ، قَدَرَ قَلْبَهُ أو قَدَرَ كثيرة ، ليرى ما تصنع فاجوسات الحيوانات الحصينة ببشلات الدكتور جاليه . حدث في المجهر ليرى ، فرأى غاية مُناه رأى هذه الفاجوسات المكورة الزاحفة المتناقلة قد أكلت من هذه البشلات حتى امتلأت !

قال متشنيكوف : «والآن على أن أثبت أن هذه المكروبات التي بداخل هذه الفاجوسات مكروبات لا تزال حية تُرزق » . وقتل الخنزير الميت وشق بطنه فانفتح ، فص منه شيئاً من هلامه الرمادي ؛ وما كان هذا الهلام إلا خلاياه الأفاقية اجتمعت في البطن لحرب المكروب الداخل والتهامه . وبعد زمن قليل ماتت

الاختبارات العجيبة الدقيقة التي يختبر بها الدم اليوم في جنابات القتل ليُعرف أهو من إنسان أو حيوان . وفي هذا العمل قام بأبحاث أدت بعد سنوات إلى اختبار الدم الشهير الذي به يُكشَف عن وجود الزُّهري في دم الانسان ، ذلك الاختبار المعروف اليوم باختبار قَسْرَمَنْ *Wassermann*

على أن برديه لم يسلم من غضبات متشيكوف أحيانا كثيرة ، ولكن الأستاذ كان كثير العُجب بتلميذه ، وكان كلما وجد برديه في الدم شيئا يضر بسمة المكروبات — ومع هذا قد ينفع في تحصيل الناس منها — أغمض متشيكوف عينه على القذى كارهاً وقام يفرى نفسه بإجراء تجارب لا بأس بها تثبت أن هذا الشيء الذي وجدته برديه في الدم إنما جاء أصلاً من الفاجوسات . ولم يُقم برديه في معمل متشيكوف طويلاً . . . .

واقترب ختام القرن التاسع عشر ، وتحول بحث المكروبات ، فيمد أن كان ينفُثر إليه كل غاطر مناصر ، أخذت تعالجه طائفة من شباب الأطباء انصرفوا إليه في هدوء وسلام وتؤدة وتبصر واجترأوه احتراماً ، فلم يجمعوا فيه بالخيال ، ولم يتنبأوا فيه بالنيب . عندئذ تحول متشيكوف كذلك بعض التحول عن غضبانه للمرة وإساءاته المتكررة إلى كل من لم يكن يرى الأمور بعينه . وقال الشارات وحظي بالكافآت المالية . ودخل يوماً مؤمراً دخول الملك المستعظم فخطى فيه حتى بصفيق الألمان واحتراسهم . وكان عندئذ آلاف من البعثات قد لحوا آلافاً من الفاجوسات تبغع آلافاً من الكروبات . ولو أن هذه لم تفسر لنا سبب الحصاة — لم تفسر لنا كيف أن رجلاً تصيب صدره النيومونيا فتقتله ، ينارجل آخر تصيبه فتعتربه نوبة من عرق صيبه يُشقى عقبها — إلا أنه مع ذلك ثبت يقيناً أن الفاجوسات تأكل مكروب النيومنيا أحياناً وتذهب به وبشره . وهذا الثبوت لا شك يرجع فضله إلى متشيكوف بصرف النظر عن فساد حججه وضيق صدره وقلة تسامحه وعناده . ولا شك كذلك في أن هذا ثبوت لحقيقة علمية كبرى ليس بمستغرب أن تؤدي إلى تخفيف آلام البشرية لو أن القدر ساق إلى هذا العالم البائس عبقرياً حلاماً حذراً لتجربة يقضح لنا السر في أن الفاجوسات تأكل المكروبات أحياناً ثم هي تَمُت عنها أحياناً ، أو لعله فوق ذلك يفرها بأكلها دائماً أبداً

(تابع)

أحمد زكي

بالنار مرض أحد أعوانه مرضاً شديداً وظهرت عليه أعراض الكوليرا الأسيوية الصميمة ، فندم متشيكوف ندامة كبرى ، وكان يقول في وجعته وأساه : « أي جوبى ! ليس لي بعد موتك حياة » ، فلما سمعت ألبا ذلك منه اتخذت حيطتها فلزمت زوجها الشهير ليلَ نهارَ خشيّة أن يماوده خاطر انتحاره القديم ؛ وكثيراً ما كان جاهد ولكنه لم يشر ثمارة أبداً . وفي ختام هذه التجارب القرية ، أخذ من دم الناجين من أعوانه خفته في دم خنازير غينية ، ثم حقن هذه الخنازير بزريعات من بشرات كوليرا حادة ، فانت هذه الخنازير ولم تنفعا دماء هؤلاء الرجال شيئاً . فاعتبط بهذا الفلاح ، وكان يكره أشد الكره أن يكون للدم خطر في هذا أبداً ، وكتب : « إن كوليرا الانسان مثل آخر من أمثلة الأمراض التي لا يمكن أن يُعزى سبب الشفاء منها لناعاة الدم أصلاً »

وقد يكون من تلاميذه تلميذ وهبه الله مقداراً غير طامى من استقلال الرأي وحرية الفكر ، يقع في أبحاثه على خاصة عجيبة من خواص الدم ، فيأتى إلى أستاذه بهمس في أذنه بالذي اكتشف ، فاذا بالأستاذ تطول قامته ، وترتفع هامته ، وينتفخ صدره زهواً وكبراً كأنه موسى الكليم يهبط جبل الطور إلى الوادى ؛ وإذا به يأمر بهذا الخارج الثائر الزنديق الذي لا يؤمن بنظريته أن تُحرق جثته ، ثم هو يقوم على الجثة يفرغ ماء عينيه بكاء وقد عزه العزاء وافقد فيه الصبر والسلوان . لم يكن معملاً بالمكان الهائى الوادع السعيد للبعثات الذين يطلبون الحقيقة الصرفة . ومع هذا فالى متشيكوف يمزى بمض الفضل في اكتشاف طائفة من أعجب خواص الدم ، ذلك لكثرة التجارب التي أجريت في معمله ولاختلاف عدد كبير من بعثات متحسين عليه فيه . مثال ذلك الباحث الشهير برديه *Bordet* جاء بعمل مع الأستاذ ، والأستاذ في أكبر مجده وأذيع صيته . وكان برديه ابن معلم قرية صونى *Soignies* بلجيكا ؛ وكان حياً لا يُؤبه لظهوره ؛ وكانت به عادات من إهمال وقلة مبالاة ؛ وكانت له عينان زرقوان كالسء ذاهلتان لا تبصران شيئاً مما تقعان عليه ، ولكنهما أبصرتا ما لم يبصره غيره من البعثات . بدأ عمله في معمل متشيكوف ، وأخذ يبحث في الدم يستجلى خفيايه ، فاستجلى أموراً جليلة منه ، وذلك في ظل لجة متشيكوف وظل صدى صيحته الصارخة بالفاجوسات والفاجوسات . ووضع هذا البلجيكي أسس تلك

وهذا عميد أسرة يتولى أمرها ويكدها لمجدها وينافع من دونها ،  
وهذا زعيم أمة قد اضطلع بشؤونها ، وسهر على شجونها ، وباع  
ماله ونفسه في سبيلها ، فبلغ الذروة في الرجولة ، وأشرف على  
أقصى غايات الكمال الانساني

أيقولون إن الانسان أناني بطبعه ؟ فما الذي يدفع بالرجل  
الكامل لأن يكون زوجا يشرك امرأته في أسباب حياته ، وأبا  
يخلط بين غيره وذاته ، وقائداً بضحي نفسه في سبيل أمته ،  
ومصلحاً ينير لغيره فيطفيء من ذبائه ؟ إنما هي غريزة التكامل ،  
فاذا ضمفت تلك الغريزة ، فرغب الشبان عن الرجعة ، وانصرفوا  
عن بناء الجماعة ، واحتفلوا بحيرم الذاتى وحده ، فقد رجعوا على  
أعقابهم ، ونكسوا على رؤوسهم ، وانكسرت سنة الخليفة فيهم ،  
فعادوا أطفالاً ، وكان من الطبيعى أن يكونوا رجلاً

رُى ماذا كان يجول في نفس ذلك الشاب الذى نيف على  
الثلاثين ، وقد جلس يتمم بالدعاء ، ويرفع يديه إلى السماء ، في  
ذى شرق أيق ، ومحيا مشرق وضىء ، لولا ما يرتسم عليه من  
خطوط فيها من معنى الألم قسط موفور ؟

إنما هي مشاعر مبهمة لا تكاد تبين أو تتعين ، مترادفة  
ينسخ لاحقها سابقها ، مختلطة بين الماضى والحاضر والمستقبل ،  
لا تكاد تستقر على عهد من العهود الماضية ، حتى تمحط على آخر  
في حدود النيب المحجوب ؛ ولا يكاد يألم لما تعانيه زوجته من ألم  
الحاض ، حتى تنسخ هذه الفاشية موجة من النور البهى الساطع  
التنشر من عالم النيب على نفسه الحائرة بين عالم النيب وعالم الشهود  
أما تلك المرأة الصغيرة فلعل خواطرها كانت حزينة مبتسمة ،  
أكثر منها فرحة مستبشرة ، ملتفتة إلى الوراء أكثر من اتجاهها  
إلى الأمام ؛ تنظر إلى الماضى المائل أمام قلبها ، فتغورق عينها  
بالدموع ، فتحاول إخفاءها عن جلس حولها ؛ ثم يروها الألم  
فتئن وتتوجع وتنحنى أحناءة تمثل كل ما فى النفس من معانى  
الاشفاق والمطف والرحمة ، وتمث فى القلب كل مشاعر الأسمى  
والوجيمة ؛ ثم تنظر حولها فتعود بها الذاكرة إلى الفقيدة  
العزيزة التى فقدتها منذ بضعة من الشهور قليلة ، فلا تزال صورتها  
تلقاها ، متألقة بنور الحب ، محفونة بمعانى الدموع ... أنها  
التى لم تكن تشعر بمطف غير عطفها ، ولم يكن لها من القلوب

## ميلاد...!

### للأديب محمد طه الحاجرى

لم يكده الفجر يستفيض من وراء الأفق ، كما يستفيض الأمل  
الباسم من وراء الضلوع ، حتى استيقظ أهل ذلك البيت الصغير  
من إغفائهم ، ونفضوا عنهم بقايا أحلامهم ، واستقبلوا نور  
الفجر الساحر فأشرق به قلوبهم ، وانبسبت له وجوههم ،  
ثم لم يلبثوا حتى كانوا يحفون بفنائه لم تتجاوز السادسة عشرة من  
عمرها ، تئن أنيناً خافتاً لا يكاد يتجاوز نطاق صدرها ، وقد  
نظمت حركاتها وأسارير وجهها بما يشاج فى أحشائها من ألم ،  
وما تبدله لقاء من جهد ؛ فكانت تنحنى إلى أمامها — من ذلك  
الألم الممض — فتعتمد على يديها ، ثم ترفع كفها لتخفى دموا  
تترقق فى عينيها ، والسيدتان الجالستان إلى سريرها تحاولان  
التسرية عنها ، وتخفيف همها ، وطرده الأشباح الفزعنة التى  
كانت تماور خيالها ، وتضاعف من آلامها ؛ ولم ينعهما وقار  
السن من أن يصطنعا فى الحديث شيئاً من الفكاهة والروح ،  
يبدد وجوم الموقف ... ويمد شياطين الرساوس

أما ذلك الرجل الفاضل الذى كان ينظر إليها ، وإن وجهه  
ليعبر عن شتى المواظف من الألم والمطف والاشفاق والرجاء ،  
فانه لم يلبث أن قلبته عواطفه ، فقام من مكانه ، وذهب إلى  
غرفة أخرى ، وأخذ يدعو الله ويضرع اليه أن يكون فى عون  
هذه السكينة التى تعاني — للمرة الأولى فى حياتها — ما تعانيه  
كل امرأة مثلها خلقت لتكون وسيلة امتداد النوع الانسانى  
رُى ماذا كان يجول فى خاطر ذلك الرجل الذى لبث زماناً  
لا يحص بماطفة الأبوة إلا حينئذٍ اليها ، ورغبة قوية حافزة فى  
الاشتمال عليها ، وما هو ذا الآن يوشك أن يكون أباً كما صار  
أمداده من قبل ، وما هي ذى رجولته توشك أن تستوى وتأخذ  
كلها بهذا القادم المنتظر ؟؟

سبحانك اللهم ! جملت فى الأيثار كمال الرجولة ، فانسجت  
الأثرة بالطفولة ، ثم جملت الرجولة درجات بمضها فوق بعض :  
هذا زوج يكده لنفسه ولغيره ، وهذا أب يرى خير بنيه فوق غيره ،

وفي هالة من الحب والراية والاعظام ! ما هو ذلك الشأن الذي جعلك مناط الأمل ومعقد الرجاء ، وقد تكون سبب الشقوة ومستقر العناء ؟ وما هي تلك الخطورة التي جعلت مقدمك بين الهليل والتكبير ، وجعلت استهلاكك مقروناً بهتان الفرح وصوت البشير ؟ وما أنت في ذلك الوجود الزاخر إلا ذرة أو أقل من ذرة في عباب المحيط الواسع ! لأنك تمثل الحياة في شتى أشكالها ؟ لأنك تحمل بين جنبيك ميراث الانسانية جميعها ؟ لأنك الوحدة التي يقوم عليها بناء الكون بما يضم من أشنات وجميع من مفارقات ؟ قد يكون كل ذلك صحيحاً لا ريب فيه . ولكن سنن الوجود ونواميس الخليقة قد طبعت على التحتم الذي لا مفر منه ، والجبر الذي لا اختيار فيه ، حتى ليمد من العيش الذي يهيم به العقل أحياناً أن يحاول تليلها ، أو يجتهد في تأويلها . فانت أنت كما أراد الله أن تكون ؛ وهذا الاحتفال الذي يحف موكبك العظيم هو جزء من النواميس التي قدرها الله لنظام الوجود ، ولا مبدل لكلمات الله . محمد طه الطاهر

غير قلبها ، ولم تكن تدرى من صور الحب غير صورة حبها . كانت تلك الفتاة وحيدتها ، فكانت تستأثر بعطفها وحنانها . ثم ضرب القدر ضربته الصارمة القاضية ، وانتزعها انتزاعاً عنيفة قاسية ، حين كانت ترجو وترقب أن تستمتع بمفيدةها وامتداد وجودها

إيه ياروح الأم المرفرفة على سرير فتاتها ! امسحي على قلب هذه المسكينة بيدك الروحية الطاهرة ، وانثري عليها من ذلك الضوء الذي يغمر ذاتك المجردة ، وابثني في قلبها الطمأنينة التي تسود عالم الروح الأسمى ، وانقلبه في شفقة الأم الرحيمة ، ورقة الروح الكريمة ، من الماضي القريب الزاخر بمعاني الأحزان والآلام ، إلى المستقبل الزاهر بمرود الآمال والأحلام . . .

\*\*\*

مضى الزوج إلى مصلاه ، يلتبس الروح والطمأنينة في جوار ربه ، ويعود به من القلق الذي جعل يبث بقلبه ، ويستروح نفحات الملائح الأملح التي تتأرجح فيه . ثم عاد إلى بيته فإذا هو يتلألاً بمعاني الفرح الطروب ، كأن الحياة قد أفرغت في هذه البقعة الصغيرة كل ما تدخره من السرور والبهجة . لشتان ما بين هذه الساعة والتي قبلها في رأى قلبه ! فقد امتلأ الفراغ الذي كان يشعر به بين جنبيه ، والذي كان يشعره أن حياته فارغة لا قيمة لها ، والذي كان لا يملؤه إلا الهم والابتئاس حين يرى رجلاً يداعب طفله ويدلله ، فتثور غريزته المحرومة ، وتضطرب في صدره أيما اضطراب . . . لقد ابتداء منذ اليوم حياة الأبوة الجميدة والرجولة الصحيحة ، وأصبح يشعر لوجوده بكيانين : أما أحدهما فقد بلغ الذروة ، وأما الثاني فلا يزال في سفح الحياة يجبو ويتشبث . . . فأى سعادة تمنم قلبه ! وأى صورة من الفرح والنبطة ترسم على وجهه ! لقد ظفر اليوم لنفسه بالحياة في أنصر صورها ، فأ كهذا اليوم في حياته كلها

وأما الأم فقد تنزلت عليها رحمة ربها ، فنسخت تلك المعاني الحزينة من قلبها ، وأقبلت عليها الحياة الجديدة النبتة من وليدها ، فسحت كل ما أبق الموت من أثر في نفسها ، وقد استفرقت كل عواطفها في تلك الفلذة المشتقة منها

\*\*\*

إيه أيها الوليد اللقي في مهده في جو من القموض والابهام

### بحرمة التأليف والترجمة والنشر

## ذكرى أبي الطيب

بميد ألف عام

كتاب ألفه في بغداد الدكتور عبد الوهاب عزام الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية ذكرى للميد الأثني لأبي الطيب التتبي ، وفصل فيه تاريخ الشاعر وأبان من جوانب مهمة مجهولة من سيرته وأدبه ، وحدد المكان الذي قتل فيه أبو الطيب وزاره وصوره ، فجاء الكتاب أوسع وأدق ما كتب عن الشاعر إلى يومنا هذا

والكتاب مطبوع بمطبعة الجزيرة ببغداد على ورق جيد ويقع في ٤٤١ صفحة من القطف المتوسط ويباع في دار اللجنة ٩ شارع الكرداسي بمابدين والمكتب الشهيرة وثمنه عشرون قرشاً هذا أجرة البريد

فلا تلين للذلة ، ولا تدين بالقلة ، والعربي مجبول على الأبياء  
والأنفة ، مفلطح على العزة وسمو الهمة والطموح إلى ممالى الأمور  
وبهذه السجايا أحرز ما أحرز في ماضى الزمان من عظمة  
الشان وبسطة السلطان

وقد افتخر سيد ولد آدم عليه السلام في غير ما موقف ،  
وهو القائل في بعض مواقفه الحربية :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهذا داهية بنى حرب يقول : وضمت رجلى في الركاب يوم  
سفين للهرب ، فتذكرت قول ابن الاطنابة :  
أبت لى همى وأبى بلأنى وأخذى الحمد بالثمن الريح  
وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تسترجمى  
فاتنتيت عما أنا فى سبيله

ولمىرى ما أخذنا فى مصورنا المتأخرة إلا من ناحية تلك -  
الفلسفة السقيمة المقيمة ، فلسفة الاستكانة والتماوت التى تسربت  
الينا من بثوق الملويين على أمرهم ، المفجوعين بحريتهم ، الصابين  
بعزتهم وأنفتهم ؛ ثم جاء الطامعون بنا فنحنوا فى نارها ، وضاعفوا  
من أضرارها ، إلى أن أصبحنا نحاف من كل شىء حتى من أنفسنا ،  
وزى يومنا أسوأ من أمنا

فإذا أردنا أن نميد سيرة أولينا جذعة ، فملينا أن ننذى  
نفوس ناشتنا بكل ما من شأنه أن يقرس فيها الشم والطموح  
الى عمالى الأمور والترفع عن دنايها ، وإرخاص الحياة فى سبيل  
العز ، والاعتقاد بأن الحياة بغير الحرية ضرب من ضروب الموت  
الحقى ؛ والشمر الفاخر أو الفخر الشاعر من أجدى الأغذية  
النفسية وأجمع الأدوية الروحية

ودوحه الفخر فى شعر أبى الطيب كثيرة الأفنان ، باسقة  
الأغصان ؛ وموقفنا هذا المحدود بالدقائق أسيق من أن يتسع للاحاطة  
بجميع أطراف هذا الموضوع فلا بد من الاقتصار والاختصار .  
وليكن اقتصارنا على غصنين هما أكثر تلك الأغصان أزهاراً وأينهما  
ثمارة ، وهما إمامته الأدبية ، وأمنيته السياسية

نشأ أبو الطيب صياً بالمالى متباً بها ، لا يفارقه ظيفها سرى  
أمامه وتأويها على أثره . وتمثلت له أمنيته بالسيادة والملك فكان  
يبنى أن يقهر الحتاة من جبابرة عصره ، ويبدل للمزب من أولئك

## الفخر فى شعر أبى الطيب للأستاذ طه الراوى

مصر المجمع العلمى العربى

نريد أن نتحدث عن أبى الطيب ، ولكن هل غادر المتحدثون  
عنه من متردم ؟ ماذا نقول فى شاعر ملاً الدنيا وشغل الناس  
من متقدمين ومتأخرين ، بله المعاصرين ، من بين ملاح وقادح ،  
وناقذ وشارح ، حتى كان من ازدحام أولئك الأعلام حول هذا  
الجهل أن ازدهرت خزانة الأدب بمشترات الأسفار ، فهل من  
جديد تقوله ؟ هذا ما جال فى خاطرى عند ما تلقيت دعوة لجنة  
المهرجان المحترمة

على أنه لا بد من القول ، فلا بد من اختيار ناحية من نواحي  
شاعرنا والتحدث عنها ، فان وقتت إلى جديد فهو الهدف ،  
وإلا فقد أبلقت عنراً . لا خلاف فى أن أبرز نواحي أبى الطيب  
وأبرعها جمالاً وأروعها جلالاً هى العظمة ؛ وقد سورها لنا بشمره  
أربع تصوير وأدوعه ، وقد نغر فى ذلك ما شاء وشادت عبقريته ،  
فليكن موضوعنا إذن : ( الفخر فى شعر أبى الطيب )

والفخر فى شعر هذا الناظم النائر جنوة من نفسه ونفحة  
من روحه ، بل هو ترجمان طموحه ، أو قل هو ذوب نفسه  
الكبيرة ، تارة يتألف قولاً وطوراً يتمثل فملاً

ومن ثم جاء هذا الضرب من شعر شاعرنا مطبوعاً بطابيه  
الخاص ، بعيداً من التكاف والتسلف ، بريثاً من كثير من الماهات  
التي علقت بغيره من شعر أبى الطيب ، ولا يدانيه فى ذلك إلا  
الوصف ، ووصف المارك خاصة ، وكل ما يتصل بالرجولة والبطولة  
ويرى الخلقون الرابدين أن الفخر ضرب من ضروب  
المجرفة الفارغة والجبروت الكاذب ، وتلك خديمة طباعهم  
الخاملة ، وسجية نفوسهم الخائنة المستخذية التي تستخرى الهون ،  
وتقنع بالدون . أما النفوس الجبولة من طينة الشرف فتأبى إلا  
بمسامة النجوم ومغالبة الخسوم ، ذلك لأن الله برأها حرة

الموالي الذين تشموا العروش من طريق الختل والقدر  
وإنما الناس بالملك ولا تُفْلحُ عربٌ ملوكها عجم

بكل منصت ما زال منتظري حتى أدلت له من دولة الخدم  
أملك الملك والأسياف ظامئة والطير جائمة لحم على وضم  
نبتت هذه الأمنية في رأس أبي الطيب من يوم عرف نفسه ،  
وملكت عليه مشاعره واستبدت براسته ، ولم تزل تطوح به  
من بلد إلى بلد حتى لفظ نفسه وسكن رسمه

وكان لها فائمة شعره وخاتمه . قيل له وهو في المكعب  
ما أحسن هذه الوفرة ا فقال :

لا تحمن الوفرة حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال  
على فتى ممتقل صعدة يعلها من كل وافي السبال  
وقال من قصيدة هي آخر ما نظم ، وقد وجدت في رحله  
بعد قتله :

سدكت بصرف الدهر طفلاً وافتماً

فأفنته عزماً ولم يُفنتني صبرا  
أريد من الأيام ما لا يريد سواي ولا يجري بخاطره فكراً  
وأسالها ما أستحق قضاءه وما أنا ممن رام حاجته قسراً  
انظر كيف تبادرت هذه الأمنية في نفسه حتى أصبح يراها  
من حقه الذي لا يبنى أن يغالب عليه

ولى همة من رأى همتها النوى فتركبني في عزها الركب الوعرا  
تروق بي الدنيا عجائبها ولى فؤاد بييض الهند لا ييضها مخرى  
ومن كان عزى بين جنبيه حثه

وخيل طوا الأرض في عينه شبرا  
حبت ملوك الأرض منتبطابهم وفازتهم ملآن من حنق صدرا  
ولما رأيت العبد للحرمالكا أبيت إباء الحر مسترزقاً حرا  
إلى أن قال :

فان بلغت نفسى المنى فبعزها وإلا فقد أبلغت في حرصها هذرا  
الملك هدف أبي الطيب ، ولكن المسالك اشتبهت عليه ؛

فتارة يسلك طريق البراعة في البراعة ، وطوراً يرى طريق  
السيف أهدي وأجدي ، وحيناً يرى أن السال هو الذي يجمع  
عليه الرجال ، وآتاً يرى السبيل أن يتولى عملاً لبعض الملوك ،  
ثم يجمله من كزا الحركة ونواة لمملكته

فهو في هذه السبل إلى أن لقي مصرعه  
وقد جرب الثورة الحمراء في مستقبل عمره فأخفق ، وعاد  
ممتطياً صهوة البيان ، يقالب الأقران ويصارع أحداث الزمان ،  
وتغزوه الرزايا من كل مكان ، وهو معتصم بالصبر ثابت العزم  
كان شاعرنا قوى الثقة بمكاته البيانية منذ حداثة ، يقول  
في صباه :

إن أكن مُعجِباً فمُعجِبٌ عجب

لم يجد فوق نفسه من مزيد  
أنا ترب الندى ورب القوافي ورسام العدا وغيظ الحسود  
وقال :

أنا صخرة الوادي إذا ما زوحت وإذا نظقت فأنتى الجوزاء  
وإذا خفيت على النبي فعاذر ألا تراني مقلة عيياء  
ولما تكأثر حساده واحتشدوا له وأسموه من الهجاء قال :  
أرى المتشاعرين غرأوا بذى ومن ذا يحمل الداء العضالا  
ومن يك ذا فم من مريض يجد صرا به الماء الزلالا  
وقال لعلي بن أحمد الأنطاكي :

دعاني اليك العلم والحلم والحجا وهذا الكلام النظم والنائل النثر  
وما قلت من شعر تكاد بيوته

إذا كتبت ببيض من نورها الخبر  
كأن الماني في فصاحة لفظها نجوم الثريا أو خلاتك النر  
ويقول للقاضي أبي الفضل الأنطاكي :

لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا بيتاً ولكني المهزبر الباسل  
ما نال أهل الجاهلية كلهم شمرى ولا سمحت بسحري بابل  
ويقول لأبي المشائر :

شاعر المجد خدنه شاعر اللغظ كلانا رب الماني الدقاق  
ونظر إلى من حوله من شعراء سيف الدولة وفيهم الصفوة  
من سحرة ذلك العصر فلم يمتبرهم شيئاً مذكورا :

خليلى إني لا أرى غير شاعر فليمنهم الدعوى ومنى القصائد  
ويقول عن سيف الدولة :

إذا شاء أن يلهو بأجحة أحمق أراه غبارى ثم قال له الحق  
وقد لحظ في شعره عناصر الخلود فقال :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى

إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

قصائدكم بالنزل ويتنزل هو بقدود الراح وبيض الصفاح ، ويتغنى  
بالجلاد والكفاح ، فكأنه يقول لهم : لكم ليلاكم ولي ليلاي  
ولكل أن يتنزل بجيبته . قال في صدر قصيدة يمدح بها علي بن  
أحمد الانطاكي :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيدا وماقولى كداومى الصبر  
وأشجع منى كل يوم سلامتى وما ثبتت إلا وفى نفسها أمر  
تمرست بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم ذعر الذعر  
ولا تحسبن المجد زقا وقينة فالجهد إلا السيف والفتكة البكر  
وتضرب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر

وفى صدر أخرى يمدح بها علي بن أحمد المرى :

لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام  
أقراراً ألد فوق شرار ومراماً أبى وظلمى يرام  
دون أن يشرق الحجاز ونجد والعراقان بالقنا والشام  
ولم يفارقه هواه فى ليلاه بمد أن حل بكنف سيف الدولة  
ووجد فيه ذلك الملك الهمام ، مل العين والسمع والقواد ، فهو  
ذا يقول :

ولقد ذخرت لكل أرض ساعة تستجفل الضرعام عن أشباله  
تلقى الوجوه بها الوجوه وبينها ضرب يجول الموت فى أجواله  
أما فى مصر فقد صانع الأسود أولا ثم لما أعياه أمره نفت  
من سمه ماشاء ، وفارقه على تلك الحال العلومة ، حتى ضمته  
الكوفة الى صدرها ، وهناك أملى قصيدته المشهورتين المقصورة  
والميمية ، وأودعهما ذلك الهيب المتأجج ، فن قوله فى الثانية :

مازلت أضحك إبلى كلما نظرت الى من اخضبت أخفافها بدم  
أسيرها بين أسنام أشاهدها ولا أشاهد فيها عفة الصم  
حتى رجعت وأقلامى قوائلى المجد للسيف ليس المجد للعلم  
أكتب بنأبدأ بمدالكاتبه فانما نحن للأسياف كالخدم

وهنا كرر إيمانه بهذه الحقيقة :

أسمتى ودوائى ما أمرت به فان غفلت فدأى قلة الفهم  
وهذا الايمان لم يمنع شاعرنا من ارتياد عضد الدولة  
وامتداحه ؛ فهل نهمه بقلة الفهم على حد تسميره هو ؟ لا . والذي  
يلوح لنا من منطلق الحوادث أن شاعرنا رأى يده فارغة وأن  
الأقدام على الثورة يتطلب رجلاً ، ولا رجال فى مثل ظروف

على أن اعتداد شاعرنا بامامته فى البيان لم يشغل باله كثيراً ،  
إذ كان يقينه بهذه الأمامة أقوى من أن يحتاج إلى الجدال  
والتضال إلا حين يخضه حقه بعض الشعراء ، أو يفغل عنه  
بعض الأمراء ، فينبه هذا ويجيب ذلك ؛ وإنما الشغل الشاغل  
لذهنه تلك الأمنية التى عقد بها فكره وحبس عليها جهده ،  
ومارس منها مشوقة خلابة جذابة ، ولكنها لا تلين بحال ،  
ولا تدين بوصال ؛ فأكثر من التفتى بها وهى لاهية عنه  
بالسود التنايل :

سيصحب النصل منى مثل مضربه

وينجلى خبرى عن صمّة الصم  
لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أحم حتى لات مقتحم

\*\*\*

إلى أى حين أنت فى زى محرم وحتى متى فى شقوة والى كم  
وإلا تمت تحت السيوف مكرماً تمت وتلاق الذل غير مكرم  
فتب واثقاً بالله وثبته ماجد

يرى القتل فى الهيجا جنى النحل فى الغم

أعجب الأدباء بامرئ القيس حيث يقرن فى شعره بين مطاوعة  
الكؤوس ومشهد الحرب الضروس ؛ قالوا : وهذا غاية فى  
الشجاعة . أما شاعرنا فقد خلف امرأ القيس وراه ، وقصر  
كل لذته على اصطدام الصقوف بالصقوف ومقارعة الحتوف  
بالحتوف . طلب إليه بعض أصحابه أن يشرب معه فقال :

ألد من الدمام الخندريس وأحلى من مطاوعة الكؤوس  
مطاوعة الصفائح والموالى وإلغى خيساً فى خيس  
فوق فى الوغى عيشى لآنى رأيت العيش فى أرب النفوس  
وقال فى مثلها :

لأحبتى أن يملأوا بالصافيات الأكبوا  
وعليهم أن يبدلوا وعلى ألا أشربا  
حتى تكون الباراة السمات فاشربا

وقال :

ألا حبذا قوم ندمام القنا يُسقونها رياً وساقهم المزم  
وكثيراً ما كان يفسح لهذا المطمح مجالاً فى صدور قصائده  
التي يمدح بها أمراء زمانه ، وبذلك يتسكب نهج الشعراء فى تصدير

## المرأة المسلمة

في القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للميلاد)

بقلم الأنسة نعيمة المغربي

تطلع علينا مكتبة الأديب السيد جسام الدين القدسي بالقاهرة من حين إلى آخر - بطائفة صالحة من الكتب العربية القديمة ، فينبش كنوزها الدفينة ، ويعرض جواهرها على أنظار عشاق الأدب ، وهواة لغة العرب ، وهي خدمة موقفة يضطلع بها الأديب المذكور ، ويقصد من وراءها خدمة ثقافتنا العربية القديمة وأبنائها الذين يقدرون حسن اختياره وحيد مجهوده . من ذلك أنه يشرط طبع كتاب (الضوء اللامع) في تراجم رجال القرن التاسع تأليف المحدث الكبير والمؤرخ النقاد شمس الدين السخاوي ؛ وهذا الأثر من أعظم آثار السخاوي وأكثرها شهرة ، يقع في عدة مجلدات ضخمة ، ظهر منها إلى اليوم اثنا عشر جزءاً . وقد خص المؤلف الجزء الثاني عشر من كتابه بتراجم نساء القرن التاسع . وكثيراً ما انتصر على اسم المترجمة وتاريخ ولادتها ووفاتها والاجازة التي تلقها من شيوخها إن كان ثمة اجازة . ومع هذا فالباحث يستطيع أن يستخرج من (الضوء) فوائد جمة ذات قيمة تزداد وضوحاً كلما أوغل المطالع في مطالعته وازداد للمؤلف محبة في تتبع أخبار من ترجم من نساء عصره ، فهو يقع من وقت إلى آخر على حوادث طريفة وفوائد ممتعة من أحوال نساء ذلك العهد

والكتاب يشتمل على ترجمة ألف امرأة ونيف ؛ وهو عدد كبير لا يسعه كتاب واحد لو أن المؤلف توخى الاسهاب والاطالة ، ولكنه لجأ إلى الإيجاز وإهمال التفاصيل كما مر . ولا أعرف السبب الذي حدا بالمؤلف رحمه الله إلى ذكر بعض نساء عصره ما دام أنه لم يظفر من أخبار حياتهن بما يستحق الذكر والتدوين . وكنت أرجح أحياناً إلى كتاب (شذرات الذهب) بنية زيادة الاستيثاق من ترجمة بعض من ترجم المؤلف لمن ، فأجد صاحب (الشذرات) أيضاً قد منحنا منحى (صاحب الضوء) في الاختصار والاقصار على الاسم والوفاة . ولعل هذا

شاعرنا إلا بالمال ، فانطلق بتمسه في موطنه ؛ ويظهر أنه جاء بما فيه البلغة ، ولكن النية حالت دون الأمنية ، ولنا على هذا كلام يضيق الوقت عن بسطه

والمال في نظر أبي الطيب إنما هو وسيلة إلى غيره ، وقد اتهمه بعض حساده بالشح وفي طليعتهم أبو بكر الخوارزمي ذلك الشتامة الذي لم يسلم من أوصار لسانه إلا القليل وحالة شاعرنا تنطق ببراءته من هذه التهمة . أما أقواله فيرهان آخر :

وما حاجتي في عسجد أستفيده ولكنها في مفخر استجده

غثائه عيشي أن تفت كرامتي وليس بث أن تفت المآكل

ومن يتفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر بقي علينا أن نسأل من أين تسربت هذه الفكرة إلى رأس أبي الطيب ؟ والجواب أن لنفسه المجدولة على التعالى أقوى نصيب في تكوين هذه الفكرة وتغذيها وتنميتها ، فقد خلق شاعرنا شجاع القلب ، أبي النفس ، حي الأنف ، خصيب العقل ، ملتهب الفطنة ، فياض الماطفة ، صباً بمالي الأمور زاهداً في سفافها

والعامل الآخر في هذه الفكرة الأوضاع السياسية في البلاد الإسلامية يومئذ ، فقد كانت هذه البلاد مسرحاً للفتن والفسائس ، ونهباً مقسماً بين رجال الثورات وأرباب الدعوات وأهل الختل والغدر ، وقد ساءم في ذلك حتى العبيد ، وحسبك بكافور على ذلك مثلاً فقد صار :

يدبر الأمر من مصر إلى عدن إلى العراق فأرض الروم فالنوب  
فأبالك يفتي يعرني توفرت فيه كل أسباب السيادة ومزايها  
الرياسة ؟

ولكن ما الحيلة وقد كبا به جده دون الناية ، وحالت النية دون الأمنية ؟ ولا ضير فقد سى وليس عليه إدراك النجاح

على أن المجد الذي خانته في ميدان السياسة ، حلق به في سماء المجد الأدبي فأطلعه فيها شحماً تفيض بالنور على مر الدهور ؛ وإن أخطائه إمارته السياسية فقد اعتزت به إمارته الأدبية ، وتلك فانية لأنها تدور حول الحطام ، أما هذه فياقية على مر الأيام  
طه الرازي

نظمت الشعر وكان بينها وبين المؤلف وسواه من العلماء مساجلة ومناظرة ، فهي تشبه من هذه الجهة شاعرة الشام في القرن العاشر للجزيرة السيدة عائشة الباعونية المدفونة في صالحة دمشق . ومن هنا يتبين أن إقبال النساء على قرض الشعر في ذلك العصر أعنى القرن التاسع كان قليلاً ، وكانت جل رغبتهم يومئذ في تلقى علوم الحديث وروايته . وللبليئة - ولا ريب - أثر في خلق هذا الميل فيهم وطبعهم بهذا الطابع

والشاعرة الوحيدة التي ذكرها (السخاوي) وترجمها ترجمة مفصلة هي (فاطمة) المشهورة بلقب (سنتية) ابنة القاضي كمال الدين محمود بن شيرين الحنفي . قال المؤلف ما نصه :

( ولدت كما كتبت لي بخطها في سادس المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة بالقاهرة ونشأت فتعلمت الكتابة وتزوجت الناصري محمد بن الطالبنا ثم مات عنها فتزوجها العلاء علي بن محمد ابن بيبرس حفيد ابن أخت الظاهر رقوق فاستولدها بيبرس ، ولاحظ لها في ذلك مع براعتها في النظم وحسن فهمها وقوة جنانها حتى كانت فريدة فيما اشتملت عليه . وقد حجت وجاورت وسكنت بجوارنا . ومما كتبت به الي بعد مجيء الخبر بموت أخرى من نظمها :

فأوصاف معانهم عن الحسن جلت  
قنا واسما مني حديث أحبتي  
وأبصرت الأشياء من غير نبأ  
أناس أطاعوا الله نارت قلوبهم  
وقد كوشفوا عن كل ما أضمر الفتي  
ونارت قلوب منهم ببصيرة  
ومنها :

أثابكم ربي وعظم أجركم  
على فقد أحباب وأحسن جيرة  
كرام سمواعلماً وحلماً وسؤددا  
وكنتم بهم في غبطة ومسرة  
قطعتم لديذ العيش وصلأ بقريهم  
فوا أسفا عند الفراق وحسرة  
ومما كتبه اليها المؤلف مجاوباً : ( يا بديسة الماني ، ورفيقة

الباني ، ومن فاقت الكثير من الرجال فضلاً عن النساء ، وراقت  
أبيانا فما كنت الخنساء ؛ حفظ الله تعالى دينك وديناك الخ )

ولها أشعار كثيرة وقصائد مطولة تدل على مبلغ اجتهادها  
في تحصيل العلم والأدب . ولها أيضاً مطالعات شعرية مع بعض  
الأدباء رجحوها بها عليهم

ومما يستحسن ذكره وصرت الاشارة إليه أن المؤلف  
ذكر ترجمة موجزة لبعض قريباته : منهن جدته وعمته وابنة

المؤلفين في ذلك أن نساء عصرهم كن ذوات حياة مختصرة فتبع ذلك اختصار في الترجمة ، وقد يكون السبب في ترجمة هؤلاء في (الضوء اللامع) أنهم يمتتن إلى مؤلفه بقراءة أو تلمذة أو جوار أو صداقة والد ؛ كما لحنا ذلك في تراجم كثيرات منهن . وما يدرينا أن بعضهن كن يكلفنه ترجمتهن حباً لتخليد ذكرهن ولو بالاختصار على اسمهن ، وهذا كما يفعل بعض نساء زماننا ؛ (بل وبعض رجاله) إذ يرغبن الى رجال الصحافة أن يذكرهن في صحفهن مباهاة بين أربابهن

وعلى كل فان هذا الجزء روض نسائي حافل بشتى أنواع الأزهار والرياحين ؛ تقرأه بلاذة وشغف ، إذ تتوفر لديك فيه النماذج المتنوعة من المرأة المسلمة في ذلك العهد الذي ساد أو بدأ يسود فيه الانحطاط . ولعل أبرز طابع في (الضوء) هي الصراحة التي امتاز بها المؤلف في معظم ما كتب وخلد من أثر ، وفي هذه الصراحة ما يشوق القارى ويغريه بالمطالعة ومراقبة المؤلف إلى النهاية

أنى المؤلف على طائفة كبيرة من نساء عصره وعرض علينا من أحوالهن وجوهاً مختلفة وأشكالاً متمدة ونفسيات متباينة وعقليات متنايرة . فهن المحدثه العالة ، والحافظة البارعة ؛ ومنهن النقية الورعة والمحتسبة الصابرة ؛ ومنهن الحبشية السوداء والجركسية الحسنة ، ومنهن سليمة اللوك والسلاطين ؛ ومن أثر فيها كيد الحاسدين وسحر الساحرين . يذكرهن لنا كما عرفهن ووصلته أخبارهن . وكثيرات منهن طاصرنا المؤلف وكن من للمجبات به المنتقدات بسمة فضله وغزارة علمه

في القرن التاسع للجزيرة كانت المرأة المسلمة في مصر والشام برغم ما يعمى إليها من تأخر تعلق عن الأئمة ويتلقون عنها . يميزها العلماء ويميزهن ؛ يناظرها الأدباء وتناظرهن ؛ تحفظ دواوين الشعر وتروى عن الشعراء ؛ ذات فكر تأتب وقريحة نيرة ورغبة ملحة في التحصيل ، لا يسترها سأم ولا ملل في طلب العلم والأخذ عن أساطينه ، وحفظ كتب الفقه والأدب ، ودواوين الشعر والمذاكرة فيها

ومما يلحظه المطالع أن معظم نجوم (الضوء) لمحن في سماء مصر وقتيان ظلال تخيلها وارتوين من ماء نيلها ؛ واغترفن من بحار حلوهها . وقد أحببت أن أحصى العواصر فلم أظفر بسوى واحدة

العواميد بقلعة الجبل بعد أن تحولت منها (خوند ازد) زوجة سيدها ، ولم تلبث الا يسيرا حتى تملكت وولمت الفراش ، وكثرت القالة بسببه ، واتهم جماعة بسجورها ، وظن ابنها أن ذلك من بعض الخوندات زوجات أبيه حسدا وبغضا ، لأنها مع كونها بارعة الجمال سارت سيرة جميلة من الحشمة والرياسة والكرم مع الاتضاع الزائد والخير والدين . ولها معروف ومآثر حسنة ، جذدت بمكة رباط الخوزي ووقفت عليه وقتاً وأصلحت ما كان تهدم منه . ماتت في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانمائة ودفنت بالمدرسة البروقية رحمها الله . ذكرها شيخنا في (إنبائه) باختصار وقال : « كانت كثيرة المروف والبر » . زاد المعنى : ( واتهم جارية بسجورها فقضيت حتى آهمت نصرانياً كاتباً فموجب فلم يقرّ نجس حتى مات هو والجارية )

وما زال هذا الضعف الخلقى في الخوف من السحر والاعتقاد به سائداً إلى اليوم في الأقطار الفرية على اختلاف بينها في درجة ذلك ، وحوادث ملوك الجان ، ما زالت ترن في الآذان

والكتاب مفيد لا تغل قراءته ولا نسام حجبته . فهو كالبلستان فيه من كل فاكهة زوجان ، وما أحوجننا إلى مطالعة أمثال هذه الكتب التي ترينا صورة واضحة جلية عن حياة نساء تلك العصور وتظلمنا على درجة ثقافتهم ، وطريقة تعلمهم . والكتب في تراجم النساء مما تركه لنا السلف قليلة جداً وهذا منها ، ولا تنس الجزء الثامن من طبقات ابن سعد الخاص بالصحابيات رضوان الله عليهن

نعمة المفدى

(دمشقي)

## سراج الملوك

كتاب قيم للإمام أبي بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى . فيه علم وأدب ، واجتماع وأخلاق ، وتربية وحكم إسلامية ، وعظات دينية ، وذخيرة الأديب ، وزهة الجليس ، لا يستغنى عنه عالم ولا واعظ . يقع في ثلثمائة وتسعين صفحة من القطع الكبير ، ورق أبيض ناعم ، وثمته عشرون قرشاً ؛ ويطلب من المكتبة المحمودية بالأزهر ، صندوق بوسنة رقم ٥٠٥ عصر تليفون ٥٣٠٦٧

شقيقه وأخته بالرضاع ووالدة امرأته التي أصيبت بالفالج وماتت عقب ذلك لدى سماعها خيراً مكذوباً عن وفاة المؤلف وابنتها زوجته وهما في الحج . وكذلك جاريته (أبرك) الحبشية ( التي كانت ضابطة لبيتهم قائمة صافية )

ومن يتأمل الكتاب وتراجم نساؤه يلمح وقوع أمور في ذلك العصر لا يزال يقع مثلها في عصرنا الحاضر مع تقادم العهد وتطاول الزمن : فمن هذا القبيل :

(سمادات) ابنة الشيخ نور الدين البوشى . تزوجها البغامى بدموت والدها وألها منه من الذل ما لم يكن لها في حساب ، بل نال طلبة أبيها من أجل مساعدتها ماشاء الله ، وكذا مس أخاها منه كل سوء فلم يحتمل وسأله الطلاق بعد ولادتها منه وأشهدت عليها أنها متى رامت نظر الولد أو أخذه كانت ملتزمة بخمسة مائة دينار ، وسمحت بفارقة ولدها ومهجتها مع مزيد حبها له . وكذلك (فاطمة) ابنة البدر الحنبلى تزوجها سبط الفز الحنبلى عز الدين محمد بن الشهاب الجوجرى فلم يحصل الثمام فقارقتها بعد بذل له وإبراء

وما كان المؤلف ليحجم عن انتقاد ما يجب انتقاده من أحوال مترجمات كتابه :

(إلف) ابنة القاضي علم الدين البلقينى ، تزوجها عبد القادر ابن الأحمدي ، ثم عبد القادر بن الرسام الحموى ، ثم أمير المؤمنين المستنجد بالله يوسف ، ثم فارقتها واتصلت بابن عمها البدر أبى السعادات بعد موت زوجته وأقبلت حينئذ على الخير وقررت في مدرسة جدها عند قبره قراء في كل يوم ، وقامت بأمر المدرسة وبتفقد الفقراء والأرامل ، وتزايد ذلك بعد موت ولدها حتى صارت فريدة في أقرانها وأمثالها ، ورتبت قراء يقرأون عندها الحديث والتفسير ، الى أن يقول : ( ولا أحد كثيراً من تصرفاتها خصوصاً فيما يتعلق بالأيتام )

وكنا نرغب لو أن المؤلف كان أكثر ايضاحاً فيذكر لنا ما لم يعجبه من تصرفاتها وهى التقية الصالحة التي زخرت حياتها بعمل البر والاحسان

وقد قص علينا حادثة لعب فيها الحجر دوره ، وذهب ضحيته نضان بريثان لا نعلم مبلغ التهمة النسوبة اليهما من الصحة (شيرين) الرومية ، هى أم الملك الناصر فرج بن برقوق ، ولما تسلطن ابنها صارت (خوند الكبرى) وسكنت قاعة

## نزهات في الخريف

للطاب الفرنسي جوستاف دروز

ترجمة السيد حسين رفعت

أطلمت على الخريف في حقوله الوسيمة ، وعواصفه الربيعة  
وتهداته الداهية في القضاء ، وأوراقه النابضة الصفراء ، وهي تترنح  
بين أنفاس الجو ونسبات الريح ؟؟

أعرفت غماره البتلة ، وشمسه المتلة ، وأشعتها الواهنة ،  
الواهنة في مثل بسملة الليل وضحكة المضي ؟

أبصرت بضحضاحه الراكد ومائه الراقد في جنبات الطريق ؟  
أعرفت كل هذا ؟

إن كنت علمته فأنت غير خال من التعصب له ، أو التحامل  
عليه ، كما أحبه بعضهم بجنونابه ، وكرهه آخرون فتطوعوا لسبه .

أما أنا - علم الله - فهو أثير عندي ، حبيب الي . ولخريف  
واحد أتمن عندي من صيفين وأجل . فإنا أهميم بقطع اللب

الكبيرة ، وأستريح بمقربة المدفأة المتواضعة ، وكلي ممدد ساكن  
بين ذلكي اللبلال الرطب ، ومقعدى الدافئ الوثير

وكم يحلو لك التأمل في سمير اللب المضطرب ، يلمق بأنيابه  
الدقيقة قطع الحديد الضيقة ، ويضيء الظلمات النائية البعيدة

وتضع زيف الريح في أمراء القمع ، ويطلق أذنك صرير  
الأبواب ونباح الكلاب ، وقد تمردت على سلاسلها الحديدية

ومقاودها المدنية . وتميز برغم دوى القابة اللاصقة وهي تزجر  
بظهرها المصوف صراخ الأعربة القاتم ، وهي تصارع العاصفة

وتنازل الرياح القاصفة

وتشاهد الوسىم يقرع ألواح الزجاج الصغيرة ، فتفكر في هؤلاء  
الذين هم في الخارج وأنت تمدد رجلك نحو المصلى

أجل أنا جدمتون بالخريف ، وصغيرى المرزى بهواه كما  
أهواه . وليس مظهر جماله ومبمته جلاله في اجتماع العائلة حول

الموقد ، يتممون بدفته اللثير ، ولآلته الكثير ، وإنما له أيضاً من  
عواصفه الهوج ، ورياحه الداوية ، وأوراقه الداوية ما يجيب

الى النفس المجازفة بين هذه الأنواء الصاخبة ، وتلك الرياح القاضبة  
وكم من المرات ذهبنا كلاًنا نزود الحقول والمزارع ، بين

سجمات القر ، وتلبدات المحب ، وقد أحسنا الكساء ، وأتقلنا  
الرداء ، ولبسنا أهديتنا الضخمة المتينة ، فكنت أرتفق ساعده

وأخذ عضده ، ثم نسير دون اتجاه معين ولا غرض مقصود  
وكان حينئذ لم يتجاوز الخامسة من عمره ، ولكنه يحب في

مشيته خيب الرجال ؟ فكنا نأخذ الطريق الضيقة المفروشة  
بالأعشاب النضرة السوداء ، خلال أشجار الحور الرمادية التي

كانت تسمح للعين بأن تخلص الى ما وراءها من الأفق ، وتخترق  
ما دونها الى بساط البرق ، فتلمح في قرارة البعد تحت السماء

البنفسجية صفحة من المصائب الصفر الباردة ، وتشاهد سقوف  
الأكواخ التهدمة ، ورؤوس المداخن المتداعية ، تتصاعد منها سحب

رهوة في زرقة لطيفة كأن الريح تطاردها بنف وتصاعدها بقسوة  
وكان طفلي الصغير يظفر من المرح وقد أمسك بيده قبضته

حذراً من أن تطير ، وكان يمدجني بمينيته الرجراجين تحت  
فيض المدامع وقد ضرج البرد وجنته ، وفي مؤخر أفته لؤلؤة

صافية قد أشرفت على السقوط ، وكان على ما به فرحاً مسروراً .  
وكنا نقطع السهل الرطب وقد حفت جوانبه بنمير النهر

المذب ، وزينت شواطئه بالقصب المتشابك ، وعرائس النيل  
المتلاحمة وزهور النهر المتنوعة

وكنا نشاهد قطعاناً من البقر وقد غاصت حتى أعلى سوقها  
بين الأعشاب السامقة ، وهي ترعى في سكون واطمئنان ، وفي

حفرة صغيرة عند جذور شجرة من الحور تجثم طفلتان  
متناظرتان في جلستهما في ظل معطف كبير ، وقد لفهما إليه

وجذبهما عليه ؟ وهما ترعيان رعيهما والرجلان نصف طاريتين في  
الحذاء الممزق ، والوجهان الرئجفان قد برزا من واقية الطر

وكان يقطع علينا سيرنا المجد - في الفينة بعد الفينة -  
غدران واسعة قد مكست عليها صفحة السماء الخافتة ، فكنا نترنح

برهة على ضفاف هذه البحيرات ، وقد داعبت صفحتها ربح  
الشمال ونشاهد الأوراق الطافية وهي تساقط من أعلى الأشجار ،

وتسبح في مهاوى الريح ، وتنوى على وجه المنتقع ، فأجل طفلي  
الحبيب بين ذراعى ويجوز المدوة الأخرى فنشاهد في أطراف

الحقول السمراء الخاوية الممرات القلوب ، والوتد المنسوب ،  
وعسالج الكرم المرأة قد امتدت على الأرض ، والحائل الصلبة

الرطبة قد تجممت أكواماً ، وتكدست أقساماً  
( هلب )

# المجاهد

للأستاذ عبد الحلیم عباس

هات لي عتادي

فقد انتهت المرکه بيني وبين نفسي : هي تريدني أن أفر ، وأريدها تحيا ساعة من نهار في جحيم المرکه ؛ وهي تريدني أن أعيش في الحياة ، وأريدها أن تسمد مع الموت  
ها هو ذا الظلم مستعلياً أبدأ ، كشأنه في كل عصر ؛ لا أزعج أني سأعقه ، فقصارى الجهد أن أضع من جمجمتي حجراً في الزاوية

هات لي عتادي

فاقيمة العمر يمضي ، وصليل القيد يصك سمي ، ورؤية الظلم تُعشى نواظري ... وما الحياة إن خلت من جمال الحق وعظمة الحرية ، إلا جبّ متناً أكبرنا فيه حشرة

هات لي عتادي

فلو عرف الناس لذة الحياة لقدسوا الموت ، ولو ذاقوا حلاوة الايمان بالحق لدلفوا طُعمه للنار ... وما خير عيش يرين عليه الظلم ، وما لذة حياة كل ما فيها متعة للظالمين ؟

هات لي عتادي

قلمت أرهب موتاً يتساوى فيه الشق مع السميد ، والراسف بالقييد مع الذي قيده ، قرب جفن ما رقأت دموعه ، ورب قلب ما التامت كلومه ، وجد له في الموت وفي ظل القبر برد الراحة وهناوة المراء

هات لي عتادي

ونعالي انظري غزاة الحق الأعزل ، واستخذاء الباطل المسلح ... ها هما بتلاحان ... فلن القلبة ؟ ألباطل قديماً غلب ، أم للحق فتلك ومضات في حلوة التاريخ ؟

منذ ساعة فتح الحق عيني ، وأثار الايمان قلبي ، فرأيت مواكب الأحياء على حقيقتها سائرة تتملل ولا تشكو ، ومجرع النصة ولا تن ، ورأيت الحق فينا بينها مبيض الجناح ، مشنوا حامله ، فملت أن من يعرف الحق ويؤمن به كل عمره ، مهما طال - ساعة من نهار

منذ ساعة فتح الحق عيني ، فرأيت الانسانية ، ترجع إلى

الوراء فملت أنه إن لم يصددها الايمان ، وتلتقي بها القوة المؤمنة ، فقير ببيد ذلك اليوم الذي تحتفل به لأكل لحم البشر ! وسار المجاهد ، رافع الرأس ، منتصب القامة ، بتلاً على وجهه نور اليقين ، ويرف عليه روح من الحق ، قال وكأنه يخاطب نفسه :

ليست حقيقة الحياة في الحياة ، وإنما هي فيها وراها ؛ وليس الموت في سبيل الحق غير آمجاد بهذه الحقيقة التي هي « الله » للفضيلة درب مختصر ، وهو أن تضع بدل كلمة « أنا » « نحن » ، والحجة القاطعة على أنك وضمت هذه بدل تلك أن تكتبها بدمك ، لتقيمها على حجارة رسك

ليس العمر مجموعة أيام ، وإنما هو سجل أعمال ؛ فرب كهل لم يمض غير أيام ، ورب فتى لا تحصر عمره الأعوام ؛ فإذا لم يك من الموت بد ، فلم لا تزد بعمرك ساعة جهاد ، لتناول الحقب وتندرج مع الأجيال ؟

يقولون إن الجهاد باب من أبواب الجنة ، أتدري لماذا ؟ لأن من يستل على الظلم ساعة في ساحة الموت ، يشارك الحكمة الأزلية في عملها ، وهي الجهاد لتثبيت الحق ، في هذه الأرض . فحال أن ترضى الحكمة الخالدة في غير نزوله في كنفها .... في الجنة

\*\*\*

وطويت الأرض تحت قدمي المجاهد ، فسار بلف السهل بالحزن ، ويطوى البيد ، حتى شارف المرکه ، فوقف يتأملها برهة ، وقد فاضت عليه قنسية الجهاد ، واتممت عيناه بيريق جميل ، هو بريق عظمة الموت ، فأخذ يتمم :

إيه يا وطني ! سماؤك وأرضك ، جبالك النثم ووهادك الفيح ، كل لها في القلب موطن حرمة وجلال . تخيت أن لي ألف نفس أفديك بها ، ولكنها نفس واحدة ، فدوتكها جهد المقل  
إيه يا وطني ! ميهط الذكريات ، ومغنى الأمل ، غدتني تربتك ، وبشت في الحياة نماتك ؛ ليس الظلم الخيم على ربوعك إلا جزءاً من الظلم النسيج على العالم بكلكله ، وفي هذا بنض المراء  
إيه يا وطني ! ها نحن أولاء قسارعتنا لتجدتك ، لا نطلب خلوداً ، فاننا نعرف التاريخ لا يتسع صدره لذكر أمثالنا . ليس التاريخ إلا سير العطاء ، وهبات أن تعرف الدنيا إلا ضرباً واحداً منهم ، أقوام وأقدم على الفتك والظلم الذي زحزحنا لصدامه ،

## ٣ - لمعات

هداة إلى شاعر الإسلام وفيلسوفه محمد إقبال جواباً  
لكتابيه «أسرار خودى» و «موزونى خودى»

للدكتور عبد الوهاب عزام

جال في الظلماء صوت هاتف  
مدّ في الظلماء نوراً من نغم  
أشعاع فيه صوت صائح  
أذن الركب لهذا اللشد  
سال في القلب مسيل المطر  
أخرير الماء من نبع زلال  
رنّ في قسي رنين الجرس  
طوت البيداء عنه السابله  
سبق القلب إليه الأذنا  
دار قلبى شطر هذا المطرب  
« غننى يا مئيتى لحن التشور

(١) اللشد في الشطر الأول منشد العزم ، وفي الثاني الذى يدل على

الضالة ، والناشد من ينشدهما

ولسنا نطلب جاهاً أو متاعاً من متاع القافية فالتنا نعرف أن التكالب  
على الجاه في ظل المبودية ، قتال على الجيفة ، تقوم به طائفة  
نسميها الكلاب

ولكننا آرتنا الموت على الحياة ، لزهو الحياة في يوم ، وليسعد  
فيها هذا البشر اللاغب الثعب . . . وثرتنا لأننا علمنا أن الموت في  
سبيل الحق حياة رائعة مديدة . . . ودوت قنبلة أعقبها طلقات ،  
فابتفض انجماد وأنحدر يهدر كالسيل الآتى . . . إلى المعركة ، إلى  
الموت ، وماهى إلا ساعة حتى استشهد ، فقد كان يقاتل كالجئون !  
أين المجاهد ؟

أما جسمه ( فكم مقلّة في منقار طائر ، وكم خد حقيق ،  
وجبين رقيق ، قد فلق بعمد الحديد )

أما روحه فقد مشت كالنسيم ، توقظ الرّم ، وتدفع الأم  
إلى للموت في ضيبل الحرية . . .

عبد العظيم عباس

(شرق الأوردو)

عدت يا هيدى إلينا . مرحباً

حبذا الصوت فن هذا البشير ؟

ومن المسد في هذى الموم ؟

ومن الهابط في نور السما

ومن الهادى إلى أرض الحبيب

ومن السائق شطر الحرم

ومن القارىء في بيت الضم

ومن الحر الذى قد حطاً

ومن الآبى على كل القيود

ومن الباعث في ميت الأمم

لاح كألخرة في هذا السواد

جرف الناس أتى مزبد

وطفى اللج عليه والتطم

عارض الموج على أغماره

سبح اللج وبالشط استقر

يجرف التيار جسماً جامداً

إن عزم الحر بحر مزبد

هذه الأقدار في تسيارها

ومن الشاعر يذكى القافيه

تشمع الأرض من أوزانه

وكان الدهر صوت كتباً

هو بالأشعار بحر فائض

حدثته الأرض عن أخبارها

هو بالأمس خبير بقيد

كشف الله عن الغيب له

عرف الشرق وواد المغرباً

فرأى العلم سبيلاً للردى

صوت « إقبال » على شطالمزار

أسمع اليقظان في هذى الديار

عبد الوهاب عزام

(تجميع)

(١) جاء هذان البيتان بالفاظهما العربية في الجزء الثاني من المتنوى

(٢) هذه : مبتدأ ، وهم : خبر (٣) يعنى أن الدهر أمام

الشاعر كلمات الموسيقى ، والشعر قراءة هذه العلامات

على الناظر

## أغنية

في سكون الليل في صمت الهدوء في شعاع القمر المنسكب  
 زورق ضمّ ملاكين سرى يتهادى فوق شطّ العرب  
 فوق غصن البان رفرف القمرى  
 يُنشدُ الأطلح بالهوى المُذرى  
 أنتِ عطر مجنحٍ شفقي طاف يذكو على الفضاء ويبقى  
 أنتِ معنى مقدس علوى شمع نوراً في نهجتي يتألق  
 أنتِ حلم منور ذهبي هلال القلب مذراه وصفق  
 على النيسد الثنى كيف بالله يكون  
 غرد الطيرُ فنتى حبذا منك اللحن

ع . ف . ط

(البصرة)

## قبل النوى

## للسيد إلياس قنصل

كفكفى هذه السموع النوالى إنها بين أضلعي جرات  
 أمر الدهر أن تلوع بالبه ، وليست ترده العبرات  
 واحفظها لمن يعيش نخلها وأمانئ نقيه زاويات  
 قد يكون الشتاء في الحب لكن حيث لا تكون حياة !

\*\*\*

كفكفى هذه السموع فلن يُدرك منا البعاد ما يتنى  
 إن يكن حب غيرنا ثمراتٍ تشتفى في ابتدائه ، ثم تبجى  
 فهوانا عواطف عاليات نفت الطهرُ بينها ألف معنى  
 والشعور الذى تغفل في القا ب وأسى من نبضه ليس يفنى

\*\*\*

كفكفى هذه السموع النوالى إن لله مارباً يخفيه  
 وليحل شوقنا الملح سروراً بكؤوس من الرجا نسقيه  
 وليكن صبرنا على البعد قربا نأ إلى معبد الهوى نهديه  
 ليس يبقى عنادنا الدهر لكن جوهر الحب أن نغذب فيه !

إلياس قنصل

(عاصمة الأرمينيين)

## يا شرع...!

## بقلم أحمد فتحى مرسى

اتند واجر في العباب رويداً واسر في اليم آمنأ يا شرع  
 يلتم الماء صفحتيك ، ويمضى ويحييك في الشروق الشعاع  
 قدمضيت الغداة تنساب في الماء كما انساب في السطور اليراع  
 وكان للياة شيقاً مقص... صاغه ماهرُ البنان صناع  
 فإذا جئت مُقبلاً ناقراقُ وإذا رُحت مُدبراً فاجتماع

\*\*\*

لهف نعى عليك في لجة اليم (م) وللم ثورة وزراع  
 حار ربانك التقدير ليديه أخفت حيلة ، وأقصر باع  
 وادلم القضاء واشتدت الريد ح فُصت لهولها الأسماع  
 وكان الجداف إذ يضرب الماء ، وللماء رجّة واندفاع  
 طائر في شراكه يتلوى ولرجليه في الشباك صراع

\*\*\*

أي هذا الذى تولى بعيداً لك مني تجمية ووداع  
 يا عروس العباب قد زفها الطير روراقت من حولها الأسجاع  
 وبنات الهديل في البر تشدو ردّ السهل شدوها واليفاع  
 ومياه العباب ترقص نشوى فانخفاض على المدى وارتفاع

\*\*\*

يا غريباً عن الحمى ووحيداً ترى أنت في النوى ملتاع  
 أنت في لجة الحياة مضاع وكذا كلنا لديها مضاع  
 وخداع هذى الحياة . فهل يُنه ريك من جانب الحياة الخداع

\*\*\*

حولك اليم في جلال وصمت سيّد أمر ، وملك مطاع  
 ثابت في الخطى يروقك لين في خطاه وهداة وانداع  
 فأتند واجر في العباب رويداً واسر في اليم آمنأ يا شرع  
 أحمد قنصل مرسى

# القصص

قصة مصرية

## القبلة الأولى و... الأخيرة !

للأستاذ دريني خشبة

[ الحوار في الأصل باللهجة المصرية ]

كان ذلك في مصحة ...

وكانت فتاة شاحبة ذات ميين كبيرتين شاعرتين ، تطل  
منهما نفس حزينة متأللة ، تارة تملق في السماء تدعو الله اللطيف  
وتصلي له ، وتارة تنظر إلى المصحة التي اجتمعت فيها أمراض  
وأحزان وأمانى ؛ وكانت تجلس فوق مقعد منفرد في زاوية منعزلة  
في الحديقة الصينية التي تكسبها التماثيل البوذية والنظلات  
والراية الكبيرة ومساقط المياه ذات الخرير جلالاً ورونقاً  
وهدهوداً يشبه موسيقى الأرواح الباكية التي ترفرف أبدأ في  
سماء تلك المصحة الرحيمة

وكانت الفتاة تسبل فوق رأسها شُفوفاً من الحرير البنمجي  
تداعبه نسبات الحديقة كلما هبت رُخاء في ناحيتها ... ولكنها  
تركت السماء كلها ، بما تفيض به من رحمة ولفظ ، وأبجعت  
بكل روحها إلى نافذة بيمينها في المصحة ، وراحت تمدق فيها  
تحميقاً شديداً ، ثم أخرجت من (شنتظها) مندبلاً صغيراً وضعت  
فيه لآلئ غالية كانت أو شكت تنهمر من عينها

وكانت الشمس قد أذنت بغروب ، وكانت تصب ذهب  
أسمتها على نواصي التماثيل الرائعة ، ولكنها كانت تصب أكثر  
هذا الذهب على ناصية بوذا الأكبر كأنها تستهزئ به ، لأنه إله  
من حجر ، وكانت ألف فكرة تزدهم في رأس «سهم» كلما  
تَهَشَّمت الشمس قليلاً قليلاً عن رأس التمثال ، فتبسم

ابتسامة ساخرة ... وتمخى دمة كبيرة في مندبليها الصغير

وأقبلت جارية «حبشية» فحيت الفتاة ، وأشارت إليها سهم  
تجلست عند طرف المقعد المنفرد المصنوع من جريد النخل ...

— « سيدتي ! »

— « ... ؟ ... »

— « أرسلني البك الكبير أناديك »

— « ولماذا عاد مبكراً هذا النساء ؟ »

— « لا أدري ، وهو يقول إنه يود أن يشرب الشاي مع

سهم هانم »

— « وإذا لم تكن لسهم رغبة في الشاي ولا في القيام من

هنا ف... »

— « سيدتي ! ألا ترحين شبابك ؟ »

— « أرحم شبابي كيف يا سمدة ؟ »

— « من هذا الذي أنت فيه ! »

— « وماذا أنا فيه يا سمدة ؟ »

— « الفكر المتصل والحزن الذي لا حد له ... »

— « أشكرك يا سمدة . إذ هي فاهتدري عنى البك —

أنا لم أعد أحب الشاي في هذه الساعة »

— « ولم في هذه الساعة ؟ »

— « لأنها كانت أول شكواه من هذا المرض الخبيث ،

ومن يدري ، فربما كانت أول شكواي أنا أيضاً ... »

— « يا سيدتي ارحمي شبابك قلت لك . إنها أيام ويفاد

المصحة سليماً معافاً ، ألسنت تثقين في تأكيدات الدكتور ؟ »

— « الدكتور ؟ ... أنت طيبة القلب يا سمدة ! أنت

ظيمة القلب جداً »

— « الدكتور يؤكد أن سيدي ناد بك يتعافى يومياً ،

وسيتماثل للشفاء قريباً ، وأنا أرى أنك تتلفين صحتك بهذا اليأس

— « لا قدر الله يا شيخ . . . إنها حزينة فقط ، وأنا لا أدري  
لحزنها سيبك ، فألف شاب جميل غني يتمنون أن تصبح لأحدم  
زوجة . . . ولكنها تأتي إلا أن تسمع لقلبها .. قُتل الحب ، إنه  
لا عقل له ! لقد كلمني اليوم عصام بك وأخ على في محاولة التأثير  
عليها ، وهو يضع كل ما يملك رهن تصرفها ، فإله هذا الشاب  
الوجيه ؟ ! صحة وثروة وأسرة ... وشباب ! »

\*\*\*

— « يا ابنتي رفقاً بنفسك ، أتم لك بالله وبشرق أن  
الدكتور أكد لي اليوم أن لنادر أياماً قليلة جداً ويفادر المستشفى  
سليماً معافى ... »

— « سليماً معافى ... متمتعاً ... بكامل صحته . . . هيه ...  
يارب ، سيفادر المستشفى إلى الأبد ... هذه هي الحقيقة ! »

— « أجل ، سيفادره لتميشاً معافى نيم إلى الأبد اسهام ! »

— « بابا ... »

— « هلى مجلس قليلاً في الحديقة ، هلى يا ابنتي ، القمر

جميل ، والنسيم رخي ، و ... »

— « بابا ... »

— « سهام ! »

— « أنا لا أحب الحديقة ولا أحب القمر ... لنبق هنا ...

الدينا بردا ! »

— « يا ابنتي لا تعبى للدينا هكذا ... »

— « الدينا ؟ آه يا بابا ... سأعيس لها إلى أن يشاء الله ! »

— « لا حول ولا قوة إلا بالله ... سهام ، أنت تحرقين

نفسك وتتلفين روحك في نار عاطفية كان ينبغي ألا تجعل لها وزناً

في راحة عقلك وسلامة تفكيرك ... لقد كنت أحاول أن

أسارك بحقيقة نادر ولكنني كنت أخشى على قلبك الغض

وشبابك الرطب أن تمصف بهما ككأتى ، مع أنها الخيرك ... سهام !

استيقظي يا ابنتي ! حقاً لقد أحبك نادر كما تحبينه ، وكنت أنا

نفسى ألس محبته لك وهو يكلمنى من أجلك ، وعندما سلنى

(السوار الماسى الجميل) الذى جملة مقدمة لزواجه منك ، كنت

أشهد في هينه دموطاً محبوبسة تريد أن تنهر ، عرفت منها أثر

تحقيق الأحلام في نفوس الشباب — ولقد كنت أوشك أن

الذى يدبى قلبك ويجرح نفسك ويقرح عينيك ؛ سيدتى سهام  
هانم : ألا تسمعين نصيحتى ؟ »

— « وأى نصيحة يا مسعدة ؟ »

— أنت شابة جميلة ، والمستقبل أمامك مشرق بسام ، والدينا

مقبلة تكاد تتمرغ تحت قدميك و ... أوه ... لا أجرؤ أن  
أقول ... »

— بل قولى يا مسعدة ، قولى ... أنا شابة جميلة ... والمستقبل

أمامى مشرق بسام ... والدينا مقبلة تكاد تتمرغ تحت قدمى ...

... الله الله يا مسعدة ... ثم ما ذا ؟ »

— « سيدتى سهام ... إني أعتذر ! ! »

— « تعذرين ! تعذرين من أى شىء ! بل لا بد أن تقولى

ألس (داده) يا مسعدة »

— « لا ... لا أجرؤ ... »

— « لا تجرئين على أى شىء يا مسعدة ... إن لم تقولى

فإنك تحزنينى »

— « ولكن على شرط ... إن لم تترك الفكرة فلا

تضمريها لى »

— « لك هذا يا مسعدة »

— « ألا تستطيعين أن تصرفى قلبك من نادر بك .. »

— « أهذه نصيحتك أيتها المجوزة ! إذهى فلن أشرب

شايًا قلت لك »

— « أ ... أ ... »

— « إذهى ... إذهى »

\*\*\*

— « يا مسعدة قلت لك لا شأن لك بسهام ونادر ، لقد كان

يبعدها قبل مرضه . وكان يوشك أن يخطبها لولا وفاة والده ...

وهى أيضاً تحبه حباً يتزج بكل قطرة من دماؤها ، إنها تكاد تجن

من أجله ... إنها لا تنام أبداً ، و ... »

— « وماذا يا عثمان ... »

— « وهى تنسرق كل ليلة إلى المصححة وتزوره ، وأخشى

أن تكون أسيتت بمرضه ، لأنى أحمها تحمل كالسلولين ... »

مسكينة ... »

ما في القلب للقلب ، ولكن لا تذهبي إليه ... لا تزوريه في  
الصحة ... لقد أئذوني الدكتور مرتين ، وقد فصل الممرضة  
المسكينة التي كانت ترحم دموعك وترقي لحبك فتوصلك إليه في  
ظلام الليل خلسة ! المدوى يا سهام ! أنت غالية عندي جدا ،  
وعزيزة عليّ جدا ، وإذا فقدتك فقدت كل شيء ... سهام !  
سهام ! تكلمي يا ابنتي ! ردي عليّ ! ماذا ؟ تبكين ؟ أنت  
طفلة ... لا ، لا ... ألم يخلق الله غير نادر ... »

— « لي ... لي يا أبي ! لم يخلق الله غير نادر لي ... لي  
أنا على الأقل ! ولذلك ... لا أمدك ! لا يمكن أن أمدك  
يا بابا ... و ... أنا متعبة جدا ... أريد أن أنام ... عن إزدك »

\*\*\*

مسكينة سهام ! لقد جاءت نصيحة والدها متأخرة جدا !  
لقد كانت تنتظر حتى تنام أمين الرقباء ، وتفتي جفون الليل ،  
ثم تنسل في جناح الظلام إلى الصحة ، غير حافلة ببرد الشتاء ،  
ولا قر الصحراء ! وهناك كانت ترشو البواب الفقير ، وتجزل  
له السطاء ، ثم تخرج إلى الطابق العلوي ، فإذا لقيها بعض  
الخدم حفاوبها واحتفوا ، فتفتح هذا قرشاً وذاك قرشين ، حتى  
تلقى الممرضة الصغيرة الجميلة التي كانت تعرف سر قلبها وعلاوة  
نفسها ، فتسمى هذه كل قوانين الصحة في سبيل قوانين الحب ،  
وتعطي بين يديها إلى غرفة نادر ... السلول المدف البائس ...  
فتقف لحظة خاطفة ، وتستأذن ... لتخلي الطريق المكهرب بين  
القلبين الحبيبين

وكان نادر يقدر لسهام تجشمها الصعاب من أجله ، وكان  
يلقاها دائماً بإبتسامة عذبة معزونة ، وهيتين سادرتين مفرورتين ،  
وروح تكاد تنب لتلقاها بذراعين من سرور !  
يا لله ... وباللحبيب ! !

لم يكن نادر يجمل خبائه مرضه ، ولم يكن يجمل أن عدواه  
شديدة الفتك ، وكانت سهام كثرة الروحي التي يضمن له السعادة  
والأحلام ، ولذلك كان يحرسها دائماً بإبعادها عن ناحيتها ،  
وكان يزوي وجهه عنها أو يدهس في سنديل كل كلمها . وكانت  
هي لا تبالي أن تدنو منه لتدلل له على أنه حياتها ، وأنها لا تبالي  
أن تصاب بمثل ما يشكو منه ، وذلك من عمى الحب وجهه ؛  
بيد أنه كان يرجوها في حرارة أن تنبذ ، فإذا لم تُصيخ ، دس

أرفض هذا الزواج أول الأمر ، لما كنت ألحظه في صحة نادر من  
التدهور والهدم ، لكني قرأت جبه في عينيك ، وشهدت حرارة  
روحه تتورد في خديك ، فتأملت ، وفرحت ، وذكرت  
( المرحومة ) والدتك وما كانت تتمناه لك من السعادة الأبدية  
ورخاء البال ، فوافقت ، وضاعف ألي وفرحي أنت وأيتك  
سعيدة به بقدر ما هو سعيد بك ، وهنا فقط ... غلطتي ...  
غلطتي التي لا يفرها لي إلا أني لم أكن أعرف أن تدهور صحة  
هذا الشاب النبيل هو أول هذا المرض الخبيث المضال ...  
سهام ! استجمي قواك ! لا تجزعي هكذا ... إن ألف شاب  
جميل رقيق القلب وافر النتي في انتظارك ... وقد خاطبني  
الكثيرون فلما قبل أن يعترض طريق حظك ولدي نادر ...  
سهام ... تشجني ! أنت صغيرة يافعة بأُنيّة ! نحن كلنا نرقي  
لشباب نادر ، وكنا نضرع إلى الله أن يشفيه ! ... و ...

— « بابا ... »

— « سهام ! »

— « ماذا تقول ؟ كنا نضرع إلى الله ! ... ماذا قال لك

الدكتور اليوم ؟ »

— « هذا هو الذي كنت أخشى أن يكون ! لهدأ قلبك  
يا بُنيّتي ، وليستيقظ عقلك الساهي ... أريد ألا أقعد ابنتي  
الوحيدة كما فقدت زوجتي ! إرحمني أباك الشيخ المحطم الذي  
لم يعد له أمل في الحياة غيرك ... أنت شمسه المشرقة فلا يحرميه  
من دفئها إلى الأبد ... إن تلج المشيب بطنى روي قليلاً قليلاً ...  
وكما رأيتك يا سهام ارتد إلى شبابي ، وانهمزت آلامي ،  
وتفرجت كروي ... فلو لاك للحقت بأمك ، ولو لاك لأغطش  
ظلام المنون حياتي ... سهام ! انظري إلى ! أرهني أذنيك !  
تحمل الصدمة من ... نادر في الطور الأخير من المرض ... »  
— « بابا ... »

— « سو ... سهام ! هي صدمة كبيرة لا شك ،  
وأشد منها أنني أرجوك ... أرجوك يا ابنتي ... أرجوك ...  
يا ... سهام ! »

وساد بين الرجل وابنته سمت عميق ، تخلت دموع  
أسوأنة ... ثم وصل الأب حديثه قائلاً :

— « أرجوك يا ابنتي أن تقطن علاقتك بنادر ... دعي

واشدت وطأة المرض على سهام ، ولم تكن هناك وسيلة خير من انتقالها إلى المصحى ، المصحى نفسها .... ولم تشمر بغضاضة وهي لم شمها لتنتقل إليها ، بل كانت تحس كأنها ذاهبة إلى الجنة لتلقى نعمة حبيبها الذى خيل لها كأنه دخلها منذ بعيد .. ومن العجيب أن سمعتها تقدمت تقدما محسوسا فى الأيام الأولى ، لأن شمور الفرح والرضى لمجاورة نادر كانت يغمز قلبها ويفعمه بالسرة

وجاءت ساعة الهول والفرح الأكبر  
أفضت سهام ليلة مقرورة ممثلة بالوساوس ؛ ولم تكن عينها تغفل قليلا إلا لتصحو فزعة من أحلام سوداء تتعلق بنادر ... فلقد رأته مسجى فوق سريره ، وقد تناثر الورد من حوله ، ولف فى ثوب حريرى أبيض كبير ههنا ، ووقف عند رأسه عصفوران أبيضان يردان تفريدا مشجبا حزينا .. ثم ما هى إلا لحظة حتى أغمض التأم عينيه ... وطار العصفوران إلى السماء ... !

وهبت سهام مذعورة ... وآلت أن تنهب إلى نادر ، وعبثا حاولت المرحمة الطيبة الموكلة بها أن تلمتها ... وعبثا حاول الخدم معاونة المرحمة فى تسكين روح سهام ... التى راحت تصرخ بلاء صوتها الضعيف المحترج ... وهبت تناضل الجميع لتمضى إلى حيث فتاها المريض

وجاء الطبيب ... وفشلت كل مساعيه فى إقناعها بالنوم وأراحة ... وأخيرا سمح لها

كانت تمشى ضعيفة موهونة متثاقلة ، وطوت الدرج فى مشقة ... وكانت تسعل سعالاً مؤلماً . ولما دنت من حرفة حبيبها المسكين وقفت تسترق السمع

« آه ... آه » ثم سعال يعقبه سعال « سهام ! يا سهام ! أناعة أنت ! شفاك الله يا حبيبتي ! ألا أراك ! وداعاً إذن ! »

وكان الصوت خشناً كأنه يخرج من بين شتى رجا

— « نادر ! مالك يا نادر ! »

— « سهام ! »

— « أجل ! أنا سهام ، مالك ! أمتصب أنت ؟ »

— « لا ، ولكنى أعتب عليك ، أ ... أنزلين ... آه »

— « مالك يا نادر ؟ »

— « إذهبى إلى غرفتك فاستريحى ... الدنيا برد ... ارحمى نفسك ... أنا شاكر لك ... آه ... »

رأسه بين الوسادتين ، وراح ينتحب . فتشقق عليه وتبتعد وفصلت المرحمة التى كانت تسهل لها زيارة نادر لفتنة شبت بين الخدم من أجل قروش سهام ... والحق أن الرحمة بالمحين فى هذه الأماكن الخطيرة حماقة من الرءاء المشفقين !

على أن سهام لم تسمى بزيارة نادر ، بل استطاعت بقروشها أيضاً أن تنفذ إليه صرات ومرات !

ولم تكن سهام تجهل أن فتاها فى الطور الأخير من مرضه ، ولم تكن فى حاجة لأن يخبرها أبوها بذلك ، ولكن تلقى الأخبار السيئة يكون جديداً كلما امتلأت به الأذن مرة بعد أخرى ، وضاعف وقع الخبر فى نفس سهام أن الدكتور أكد . فلما ذهبت إلى مخدعها لتنام طفتت تتقلب فى أشواك من المموم ، وفوق إبر من الأفكار السوداء التى تشبه الخفافيش

وذهب أبوها إلى مخدعه كذلك ، ولكنه ما كاد يستقر فيه حتى سمع ابنته تسمل ... ثم تسمل ... وهنا هاجت خلية من اليماسيب فى رأسه ، فهض من فوره وتوجه إلى غرفتها ؛ ولكنه وقف عند الباب يتسمع ويتسمع ...

« آه يا نادر ... يا حبيبى يا نادر ... كيف أعيش بمدك يا نادر ؟ ... »

وكان الصوت ضعيفاً عميقاً يتشقق عن صدر ممزق ونفس محروبة ؟

ودخل الوالد الذاهل عن نفسه يفس بجانب ابنته على سريره ومر بأصابعه على رأسها فأحس كأنه يحترق

وكانت سهام ما تنفك تسمل ... وتسمل

ونهض أبوها فتكلم مع أحد أصدقائه الأطباء فى (التليفون)

جاء على هجل ... وزار سهام ... وبكل أسف كانت هو نفس الدكتور الذى تسبب فى فصل المرحمة من المصحى

وداعها الطبيب بكلمات حلوة منمقة معسولة ، وخرج ولم يكلم أبها .. ولكنها سمته يقول وهو يطوى الدرج « أنا قلت ، أنا قلت ... » فكانت حماقة أدهى من حماقة المرحمة !

وتبسمت سهام تبسماً حزيناً ، وجملت تتمم « نادر ؟ سوايا يا نادر !! »

ولما أحضرت قوارير الدواء وزجاجاته حذبتها الفتاة بنظرات الاشمئزاز ولم تذق منها جرعة !

« كنت أحلم أن أفوز منك بقبلة تنير لي طريقى إلى

الدار الآخرة ! »

ودنت منه ، وقبل أن تهوى على فته تقبله ، اتقض الدكتور

غفال بينهما ! ! !

بالسخر !

ولان قلب الدكتور فوضع مندبلة على وجه نادر ، وأشار

إلى الفتاة ، فدنت منه ... وطبعت عليه قبلة باكية ... ولكنها

أحست بشفتيه الباردتين الثلوجتين ... وبمحرمة خاطفة رفعت

النديل وحدقت في وجه الفتى ... ولكن ... وأسفاه ... لقد

فارق الحياة

وتوجهت سهام إلى الله بنفس حزينة راضية ... وغادرت

المسحة بعد أيام ، ولكن لا إلى قصر أبيها وحدائقه ...

ولا إلى أحلامها وأمانها !

درى فحشبة

« بل اجلس معك يا نادر ... مالك ! »

« لا شيء لا تزعمى ؟ »

وكان الطبيب الرحيم البار ينظر إليهما ويكي ؟

« خبرني يا حبيبي ... أتشكو شيئاً ! »

« اطمشنى ياسهام ... يجب أن تعيشى لوالدك ولشبابك »

« أنت تزعمى ! »

« لا تزعمى أبداً ! ... فأنا ... »

وضعف الصوت قليلاً ... ثم قليلاً

« مالك ... مالك ... يا دكتور ، تعال ... لكشف

عليه ! »

« لا فائدة يا سهام ! يجب أن تعيشى ! سهام ! »

« نعم يا حبيبي ! »

« ألا ... آه ... كم أستحي أن أقول لك ؟ »

« بل قل ... قل يا نادر ! »

## بشرى لعشاق التاريخ الاسلامى

أما نالى الأوتيرة النفيسين ، فهو :

٢ - الحلال السندسية

فى الأوتيرة والوتيرة الأوتيرة

وهو أكبر دائرة مزارف للأندلس ، تحيط بكل ما جاء من ذلك

الندروس المقنود ، بقلم أمير البيان ونظر الروية :

الأوتيرة شكيب أرسلان

وقد تم طبع الجزء الأول منه . أما الاشتراك فيه ، فنل الاشتراك

فى تاريخ ابن خلدون

والاشتراكات ترسل باسم السيد محمد المهدي الجابى القيم الآن

بالقاهرة ؟ وعنوانه : بالمطبعة الرحمانية بالخرقش ، أو صندوق بريد

الندروس ، أو لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الكرداسى رقم ٩

عابدين

ومن أرسل قيمة الاشتراك فى ابن خلدون أو فى الحلال السندسية

أو فيها حماً وصلت إليه الأجزاء بأقصى ما يمكن من السرعة

وستقبل الاشتراكات على هذا النحو لمدة أربعين يوماً للنفيسين

بمصر . وستين يوماً للنفيسين بالخارج . وبعد ذلك ترفع القيمة

تقوم أكبر دور النشر بالغرب ، وهى المكتبة التجارية الكبرى بفاس  
وتطوان بسبل جليل نزهة إلى عشاق التاريخ الاسلامى فى الأقطار العربية  
كافة ، ذلك أنها اعتزمت طبع أربعين نفيسين ، أولها :

١ - تاريخ ابن خلدون

وهو الموسوعة التاريخية الخالدة ، التى وضعتها أكبر رأس عربى

مفكر ، بعد أن أشرفت على تحقيقها وضبط أحلامها وتصحيح أخبارها

ومراجعتها على النسخ المخطوطة منها ، ثم الصليق عليها - لجنة علمية

من أئمة مؤرخى المغرب وكبار علمائه . أضف الى ذلك أن عليه حواشى

وتعليقات لا حاجة بنا الى إطرائها وبيان قيمتها ، بعد أن نصح باسم

صاحبها أمير البيان وكتاب العرق الأكبر : (الأمير شكيب أرسلان) -

وفوق ذلك كتب مقدمة التاريخ الأستاذ الكبير اللامة أحمد أمين

ويطبع الآن (تاريخ ابن خلدون) فى القاهرة طبعاً متنقلاً يلىق بجلال

الكتاب ، مصححاً أدق وتصحيح ، وسيصدر فى أربعة عشر جزءاً .

وقد صدر الجزء الأول منه . وقد اطلع الراغبون فى هذا الكتاب على

إعلان بمرصة الأهمرام ، فهنموا أن الاشتراك يكون فى جزء واحد

ولقدروه ١٠ فرشاً بعداً أجره البريد ولقدرها ثلاثون ملىقاً بمصر ومائة ملىق فى

الخارج من مختلف الأقطار العربية كالعراق والسودان وغيرها ، فتوات

علينا الرسائل على هذا الأساس ؟ ونرجو أن يملوا أن الاشتراك لا بد

أن يكون فى جزءين ، نيدفع للعتك ٣٠ فرشاً ، ونسلم الجزء الأول

ثم إننا تم الجزء الثانى وتسلمه أرسل ٣٠ فرشاً أخرى ، وهكذا .

هذا وسيصدر الجزء الثانى بعد شهر واحد

# البريد الأدبي

رد وبيانه - مول أغلاط مزهومة

إني أجهل الجغرافيا ، وأتقل بالقارى من شواطئ البحر الأبيض إلى شواطئ البحر الأحمر

وكيف يتصور إنسان سوى هذا الحماقد الصدور أن الخطأ هنا حقيقي وقد كتبت مسودة المقال وأنا أنجول في سبتانيا ذاتها وعلى شواطئ البحر الأبيض نفسه ؟

ومن الأسف أنه قد تسربت إلى المقال بعض أغلاط وتحريرات مطبعية أخرى ، خصوصاً وأنى لم أتول تصحيحه بنفسى كما هي عادتى نظراً لتغيبى في أوروبا ، وكان ثمة تحريف آخر هول في شأنه الكاتب تهويلاً سخيفاً ؛ فقد نقل العبارة الآتية التى وردت أثناء حديثى عن موقعة رونشفال :

« ولرونشفال ذكرى خالدة في التاريخ والقصص الفرنسيين ، فقد كانت مسرحاً للموقعة الشهيرة التى مزق فيها العرب جيش كارل الأكبر (شارلمان) ، حين عوده من غزواته لاسبانيا الشمالية ، التى نظم فيها رولان وصيف شارلمان أنشودته الشهيرة *Chanson de Roland* »

والكاتب يظن أنه يقول جديداً حين ينقل الينا من «لاروس» أن رولان ليس هو ناظم الأنشودة ، وأن ناظمها لم يعرف ونمود فنقول هنا إن سوء النية الذى يعل على الكاتب كل عباراته أسماء عن أن يرى في العبارة كلها ثغرة وتقصاً يقطمان بأن هناك تحريفاً ؛ فقد سقطت في الواقع منها كلمات غيرت كل معناها ومعناها ؛ وقد كان النص ، على ما أذكر : « وفي تلك الموقعة ، وفي أبطالها الفرنج ولاسيا هرودلان أو رولان وصيف شارلمان نظمت الأنشودة الشهيرة » أو ما في معناه

ومع ذلك فالحديث عن موقعة رونشفال ومصرع رولان وأنشودته يكون فصلاً من كتابنا « تاريخ العرب والموريسكيين في أسبانيا » ؛ وقد نشر هذا الفصل فعلاً في مجلة (الهلل) الثراء في عددها الصادر في أول فبراير سنة ١٩٣٤ (ص ٤٥٣ وما بعدها) ؛ وهذا ما ورد فيه خاصاً بهذه النقطة :

نشرت (الرسالة) في عددها الصادر في ٣١ أغسطس (العدد رقم ١٦٥) مقالاً بثت به اليها أنشاء غيبتي في أوروبا عنوانه «أسبوع في سبتانيا : من ذكريات العرب والاسلام في غابلس» ، عرضت فيه بعض حقائق وملاحظات أنارتها في نفسى زيارتى لسبتانيا وقواعدها في أواخر شهر يوليه الماضى وقد كُتفت نظرى عقب عودتى بأيام قلائل إلى كلمة نشرتها إحدى الصحف السورية لكاتب يزعم أنه اكتشف في مقال أغلاطاً شنيعة في التاريخ والجغرافيا ، وينتهز الفرصة فيوجه إلى « وإلى (الرسالة) وساحبها أيضاً من النمز البذئ الذى يتم في كل كلمة منه عن حقد مضطرم وسوء نية يعلم الله وحده مصدرها والباعث عليهما

وأنا أربأ بقلى و (بالرسالة) عن التورط في هذا المترك الوضيع ، مترك السباب والقذف ، وأكتفى بالرد على ما جاء في الكلمة خاصاً بالأغلاط المزهومة

نقل الكاتب عبارتين من مقالى هما موضوع المناقشة ، وهذه أولهما :

« ولقد كانت سبتانيا — وهو اسمها القديم ، ومعناه ذات المدن السبعة — أولاً أنجدوك الحديثة ، أول أرض فرنجية غزاها العرب عقب افتتاح الأندلس ، وأخذوها قاعدة لتزواتهم في جنوب فرنسا ، وجعلوها ولاية أندلسية سميت بالثغر أو الرباط لوقوعها على ساحل البحر الأحمر ... »

وأظن أنه لا يخفى على فطنة أى قارى أن كلمة « الأحمر » هنا إنما هي خطأ مطبعى أو سهو قلى لاشك فيه ، جاءت مكان « البحر الأبيض » ؛ ولا يمكن بداهة — والمقال كله على سبتانيا وجنوب فرنسا والأندلس — أن يخاطر بيال قارى أن كاتب هذا المقال يقع في مثل هذا الخطأ الساذج . وإذن فالجهل المقرون بسوء النية هو وحده الذى يعل على الكاتب ملاحظته الخرقاء ، وقوله

### المجاهظ في كتاب (تراث الاسلام)

نشرت (الرسالة) الفراء منذ عشرين استهلال فصل الفلسفة والآهيات في كتاب (تراث الاسلام) ورد فيه كلام للمجاهظ يتضمن الاعتراف بفضل النكر اليوناني على أهل الملة الاسلامية؛ ثم نشرت في المدد الماضي مقالاً للأديب الكريم محمد طه الحاجري أثبت فيه نص للمجاهظ وذكر الكتاب الذي ورد فيه هذا النص

والذين سيطلعون على فصل الفلسفة والآهيات في هذا الكتاب سيمرقون من تمليقاتي الجهد الشاق الذي تحملته في البحث عن النصوص التي وردت فيه ، ولا سيما أن المؤلف كان في أكثر هذه النصوص لا يشير الى المراجع التي استقاها منها والقراء يعرفون أن المجاحظ قد ألف العديد من الكتب والرسائل وأنه كان يتناول في الكتاب الواحد موضوعات شتى واتجاهات متبانية قد لا يربطها عنوان الكتاب . فمعرفة نص له في كتاب مجهول الاسم أمر صعب كل الصبر . ومع ذلك فقد حاولت جهد الطاقة أن أعرف الكتاب الذي ورد فيه هذا النص فلم أوفق ؛ فاتصلت بالأستاذ جيبوم مؤلف الفصل — في إنجلترا — لعله يهديني الى الكتاب الذي ورد فيه النص ، فرد معتذراً بنسيان المصدر ... ولما كنت أعلم أن لهذا النص خطره من حيث إنه يحمل اعترافاً له قيمته العلمية فقد تعمدت أن أثبت في ذيل الصفحة التي ورد فيها كلام المجاحظ تليقاً بأوردت فيه نصوصاً لعلاء السليمن وفلاسفتهم (كالشهرستاني ، وابن خلدون ، وابن سبويه) وكلها تؤيد هذه النظرة التي ذهب إليها المجاحظ

ويستنكر الأديب الكريم من المؤلف استشهاده بهذا النص على أن الفلسفة العربية ليست إلا صورة من الفلسفة اليونانية مشوبة ببعض الفلسفات الفارسية والهندية . وهذه ملحوظة لم أهل الالتفات إليها والرد عليها في تعليق آخر قد نشرته الرسالة مع المقال وذكرت فيه آراء بعض مؤرخي الفلسفة الاسلامية من علماء القرب وانتهيت الى تقرير الرأي القائل بأن للفلسفة الاسلامية كياناً خاصاً يميزها من غيرها من سائر الفلسفات لأن فيها ثمرات من عبقرية أهلها

على أن هذا الرأي لا يبنى القول بأن المجاحظ وغير المجاحظ من علماء السليمن وفلاسفتهم قد اعترفوا بما كان لليونانيين من فضل

« وتضع الرواية الفرنجية تاريخ الموقعة في ١٨ أغسطس سنة ٧٧٨ (ذي القعدة سنة ١٦٦) ؛ وبينما تقنع الرواية العربية بالإشارة إليها في عبارات موجزة إذا بالرواية الفرنجية والكنسية تفيض في تفاصيلها افاضة ظاهرة . وأوثق وأدق الروايات الفرنجية عنها هي رواية ابنهات مؤرخ شارلمان ومعاصره ، فهو يفصل حوادثها ويذكر من هلك فيها من الأمراء والسادة ، ومنهم اجهارد رئيس الخاصة ، وانسلم محافظ القصر ، وهرودلان حاكم القصر البريتاني . وهرودلان هو رولان بطل الأنشودة الشهيرة التي نظمت عن هذه الموقعة ، والتي ما زالت أترأ خالداً لقريض الفروسية في المصور الوسطى ؛ ذلك أن الأسطورة أخذت من حوادث هذه الموقعة موضوعاً لقصة حربية حماسية حرفت فيها الوقائع الأصلية أبعاء تحريف ، ولكنها تستبق مكان الموقعة وبعض أشخاص التاريخ . وهي يورمانية الأصل ظهرت لأول مرة في القرن الحادي عشر أعنى بعد الموقعة بثلاثة قرون ، ودونت أولاً في بعض القصص اللاتينية ، ثم دونت بالنظم في قصيدة طويلة بعنوان « أنشودة رولان »

هذا ما كتبناه ونشرناه منذ أعوام عن أنشودة رولان ؛ نكرر هنا ليعرف الكاتب أننا لسنا في حاجة إلى تصحيحاته المستقاة من مجسم الأحداث

أما كون رولان كان وصيفاً لشارلمان أم لا ، فهذه نقطة لا أهمية لها ، وقد كان رولان أو هرودلان أحد البارونات الاقطاعيين ؛ وكان من الشرف اللوكني يومئذ أن يتلقى البارونات بمناصب الوصفاء في البلاط ، وكان هرودلان من هؤلاء وبند ، فهذا ما يزعم الكاتب أنه أخطاء شنيعة اكتشفها في مقالنا ، وهذا ما يريد أن يتخذه نكاةً للتعريض بنا وبالكتاب المصريين والأدب المصري

وهذه نعمة نعرفها ؛ وقد نعرف الباعث عليها بيد أن الكاتب يوم إذ يحسب أنه يستطيع أن ينال منا بمثل هذا الاسفاف

أما إشارته إلى كتابنا «ديوان التحقيق والهاكات الكبرى» فنكتفي بأن نرد عليه بأن المراجع التي قبلنا بها كل فصل من قصوله تكن لأن تعرض السنة البغضاء والتعاملين ما

محمد عبد الله عرفة

على أهل اللغة الإسلامية ؛ بل أسرف أكثرهم فمزا إليهم الفلسفة  
الإسلامية في شتى آفاقها

وإني لأشكر للأديب الكريم اهتمامه بالأمر ومساعدته  
بالرد ؛ فلو تأخر رده أسبوعاً واحداً لكان الكتاب في أيدي  
قرائه . وتعذر علينا تبليغ النص إليهم ما

توفيره الظريف

عضو لجنة الجامعيين لنشر العلم

هل للشاعرة ما للشاعر من الحرية في التعبير الشعري ؟

حول رسالة آنسة

قلت في إحدى مقالات « شعراء الموسم في الميزان » أثناء  
نقد قصيدة السيدة منيرة توفيق : « والمرأة المصرية تستمد صمتها  
من أبي الهول ، ولا أعنى إلا الامسآك عن التعبير عن الاحساس  
والعواطف تعبيراً صادقاً ؛ فن شعرت من بنات مصر فأنما تقول  
في الأخلاق والتصاوح ، متجاوزة خواجج النفس ودقائق الحس ، لأن  
طبعها الصموت الحبي يآبي الحديث عنها ، وأعتقد أنها لو فعات ،  
وكانت موهوبة التعبير والأداء لآنت بالفزائب »  
ومنذ أيام وردت إلى هذه الرسالة في بريد « الرسالة » ،  
وهي بمد الدياجة :

« طالعتي الرسالة في عددها - ١٦٢ - بكلمتكم الفراء  
عن المرأة المصرية وتنحيها عن التعبير الشعري في ميادين الأدب  
باحساس النفس وخواججها

أقول الشعر بالسليقة ثم أخذته دراسة لملى الفطرى ، ولدى  
الكثير في النزول والوصف والرثاء والحماسة إلى غيره من أبواب  
الشعر ولكنى لا أجرؤ على نشره ؛ وقد دفعتى كلمتكم إلى إرفاق  
مقطوعات من بعض ما لى دفاعاً عن المرأة المصرية . فان استشمر  
أستاذى فيها خيراً أنبئت على النشر وواليت الانتاج  
أنتظر رأيكم على صفحات « الرسالة » وكم في « الكئانة »  
من مثيلآن ؛ وتنازل بقبول أسى تيمانى

ف . ع . ح آنسة

فهذه الآنة ، وإن كانت تعبر عن إحساسها لا تجرؤ على  
نشر ما تقول ، كما تقول ، وتدفع عن المرأة المصرية تهمة القصور  
باطلاعنا على قطع من شعرها أكثرها في المنزل ... ونسوق إلى  
القارىء منه شيئاً :

تقول في أبيات عنوانها ( سهام ) :  
كان الفؤاد يقول لو ذقت الهوى

ونعمت حيناً مثل من نأجى اللوى  
ظن الغرام سعادة لم يدر ما  
يخفيه من ليل المحب وما طوى  
ذكر اللقاء وما به من لذة  
لكنه جهل الصبابة والنوى  
فصحت مهلاً يا فؤادى واتند  
ليس الغرام كما ظننت بما احتوى  
لكنه ما يرعوى عن غيبه  
ومضى به شوق الغرام إلى الهوى  
والآن من سهم اللعاط معذب  
قد ذاب من وله يود لو ارعوى  
وهذه جراءة تجرؤ على أن تقول إن فيها كعباً جديداً للأدب ،  
فاذا كان الشعر يستمد أكثر ما يستمد من العاطفة ، فالرأة هى  
العاطفة ، وهى تلهم الرجل الشعر ، فاذا تشمر هى فأنما تنفق عن  
سعة وتندفق من معين

والحق أن المرأة إنما تحجم عن هذا الميدان لأنها تخشى  
إنكار الرجل عليها ، فهى لا تقول الشعر المبر عن حقائق  
نفسها لأنها ترى أنها ستقوله لنفسها ، فتؤثر الصمت ؛ ولعل  
رسائل الحب انلصة أفسح مجال لها ، فهى تحسن فيها وتبدع ،  
فلو أتيح لها أن تظهر فى حلبة الشعر مطلقة الحرية فى التعبير  
لبذت وفاتت

وبعد ، فألى الانسة « ف . ع . ح » يساق الحديث :  
أشكرك على خطابك الرقيق ، وأحى فيك هبة الشعر التى  
تبدو فيها بمت به ، وإن كان يعوزه الشيء الكثير من سلامة  
الأسلوب ومثانة النسخ وحممة المانى ، وترتيب الأفكار . ولعل  
نا قرأته فى تقدنا للشراء يهون عليك وقع هذا الكلام ، فقد  
ماهدنا الحق أن نسلك سبيله لا نحميد عنه . وإن كان هذا بدء  
معالجتك لقرض الشعر فهو يبشر بالاجادة ؛ فأحب لك الآن أن  
تقبلى على الطالعة والدراسة أكثر مما تقبلين على الانتاج والنشر  
هباس حسابه هههه

عير هوسلين وذكرى لامارتين

فى أوائل شهر سبتمبر أقيم فى مدينة ماكون بفرنسا هيد  
أدبى مؤثر ؛ وماكون هى مسقط رأس الفونس دى لامارتين  
ومرتع طفولته وحدائمه ؛ ولكن السيد الأدبى الذى أقيم بها لم يكن  
خاصاً بشخص لامارتين ، بل باحدى منظوماته الشعرية الشهيرة ،  
ونمى « جوسلين » Jocelyn التى مضى على صدورها مائة طم

لأهوائها وغدت فتاة خاطئة ، ودارت الأيام دورتها ، فالتقى جوسلين ثانية بلورانس يطلب إليها الصبح ويحمل إليها الغفران تلك هي خلاصة « جوسلين » وللمعروف أنها صورة لقصة واقعة بطلها راهب من أصدقاء الشاعر يدعى الأب « دومون » ، كان من رجال الدين أيام الثورة ، فمهد إليه ذات يوم أحد أصدقائه الأشراف بصفري بنائه لكي ينقذها من خطر المجن والاعدام فهام كل منهما بالآخر ، وأثمر الحب ابنة سميت الآنسة ميلي ؛ وعاش القس محترماً مبعجلاً زاول مهنته بعطف ورقة حتى توفي ؛ ونظم لامارتين فيه قصيدة مؤثرة ؛ وما زال قبره في تلك الأنحاء يعرف بقبر « جوسلين » بطل منظومة لامارتين

### من أرض البكم

صدر أخيراً بالألمانية كتاب عنوانه « من أرض البكم » Aus dem Lande der Stummen بقلم الكسندرا آنسروفا ؛ وأرض البكم هي سجون روسيا السوفيتية ومعاقها التي خصصت لنفي الأحياء واخراس الألسن ؛ والكسندرا آنسروفا هي نبيلة من نبيلات روسيا القيصرية ، كانت أيام الثورة فتاة في السادسة عشرة ، قبض عليها البلاشفة وزجوها إلى السجن بين من زج من النبلاء والنبيلات ؛ وما زالت الكسندرا تتقلب من سجن إلى سجن ومن منفي إلى منفي بلا تهمة ولا ذنب معين إلا أنها من النبيلات ، وتمازج أروع الآلام المادية والمعنوية ، تارة في جزر البحر الأبيض الشمالي ، وتارة في سيديريا حتى سنة ١٩٣٢ ؛ وعندئذ أفرج عنها بعد اعتقال دام نحو خمسة عشر عاماً ، وبعد أن ظهرت براءتها ناصحة ؛ فلبثت في موسكو مدى عامين تدون مذكراتها عن « أرض البكم » ثم غادرت بعد ذلك موسكو إلى ألمانيا ، وهناك نشرت كتابها المذكور والكتاب يصف السجن والمعاق الروسية في عهد البلاشفة وصفاً دقيقاً مروعاً ، ومنه يتبين أنها ليست في العهد الحالي أقل شتامة وروعة منها أيام القيصرية ؛ وفي الكتاب ملاحظات وحقائق غريبة عن الحياة الجديدة في روسيا البلشفية

### الثقافة البولندية في عصر النازي

نشرت الكاتبة الأمريكية «دوروثي تومبسون» في مجلة

احتفل إذن بالميدلثوي « لجوسلين » في ماكون ، وأثيرت ذكرى الشاعر الكبير ، ورأس هذه الحفلات المؤثرة مسيو هنري بوردو عضو الأكاديمية الفرنسية ، وكان من ضمنها حج أصدقاء الشاعر إلى ضيافته «ميلي» التي قضى فيها أعذب أعوامه وشاد بذكرها في «مذكراته» وإلى قصر سان بوان حيث قضى أعوام مجده ، ثم إلى قصر مونسو حيث قضى أعوامه الأخيرة في عمر من البؤس والنسيان

أما منظومته «جوسلين» التي عرفت أيام صدورها منذ مائة عام أعظم ظفر أدبي يمكن تصوره فتكاد تنسى اليوم إلى جانب منظومات وروايات أخرى للامارتين ؛ ذلك أنها لم تكن خيراً ما نظم من حيث الصناعة والصلق ، ولكنها كانت من أبدع ما نظم من حيث الروح ، والقوة ، والطابع الفناني

وجوسلين قصة شعرية كبيرة في أكثر من ثمانية آلاف بيت ، وكانت حساباً يريد ناظرها أول قسم من ديوان شعري ضخيم يسمى «الرؤى» Visions ؛ وبطلها جوسلين وهو فتى يتيم وولد قروية فقيرة ، حملته ظروف الأسرة على الالتحاق بمدرسة الكهنة على رغم إرادته ؛ وكان ذلك أيام الثورة ، فلم يلبث أن طرد من المعهد قبل إتمام دروسه ؛ وعندئذ فر إلى الجبال ليتقى المطاردة التي كان يعرض إليها رجال الدين يومئذ ، وعاش في كهف في الجبال ، وعطف عليه راع كان يده خفية بالطعام والشراب

وفي ذات يوم رأى جوسلين شيخاً وقتى يطاردها القتل فتقدم لعونهما ، وأسلمه الشيخ فتاة ، ولكن لم ينج من رصاص القتل نقرتيلاً ، بينما التجأ ولده ناجياً إلى كهف جوسلين

وعاش جوسلين مع هذا الفتى الحدث في وئام وحب أخرى ؛ ولكن حدث ذات يوم أثناء هبوب العاصفة أن جرح الفتى ، ولاحظ جوسلين دهشاً مرعباً ، أثناء العناية به ، أنه يعني بفتاة لا بفتى ، فعندئذ هام جوسلين بالفتاة «لورانس» ، وأخذ يحلم بالاقتران بها

ولكن الدهر لم يلبث أن فرق بينهما . ذلك أن جوسلين دعاه أسقف ومرهيه وهو على أهبة الموت ليقوم له بالواجبات الأخيرة ، ولم ير جوسلين بدأ من قبول التضحية ، فهورل إلى الأسقف ، وقام بواجبه . وفي أثناء ذلك تركت لورانس العنان

تحدث عن كل ما يتعلق بهم من الخواص الجنسية والثقافة  
السياسية والاجتماعية ، والتاريخ والمدنية ؛ وتمتد هذه الموسوعة  
الجديدة الآن في أمريكا ؛ وقد وضع المشروع منذ سنة ١٩٣٢ ،  
وانتخب لرأسه اللجنة الشرفية على تنفيذ زعيم السود الدكتور  
دي بوا أستاذ علم الاجتماع في جامعة اثلاتا ؛ وتشمل اللجنة ممثلين  
لجمعية تقدم العلوم الافريقية ، ومجلس الجمعيات العلمية الأمريكية  
ولجنة التعاون الدولي ؛ وستعنى الموسوعة بالتحدث عن جميع  
أطوار حياة الجنس الأسود وتاريخه ومدنيته ، سواء في إفريقية  
أو أمريكا ؛ وسيكون لهذه الموسوعة الطريقة شأن عظيم في دوائر  
الأدب والسياسة والاجتماع ؛ وسيمطى لها اسم ( موسوعة الرجل  
الأسود ) Encyclopaedia of the Negro

### مذكرات ملوكية

صدرت أخيراً ترجمة انكليزية لمذكرات الأميرة أولاليا  
الأسبانية ، وهي ابنة الملكة إيزابيلا وعمه الفونسو ملك أسبانيا  
السابق ؛ وتشغل هذه المذكرات زهاء سبعين عاماً تنتهي بقيام  
الجمهورية في أسبانيا سنة ١٩٣١ ؛ وتتضمن أخباراً وقصصاً ونبذاً  
كثيرة عن معظم الحوادث التي تمس أسبانيا ، وعن جميع القصور  
الأوربية التي تتصل بالأميرة أولاليا بمعظمها بصلة القرابة ؛ وتبسط  
الأميرة بنوع خاص الأسباب والعوامل التي أدت إلى سقوط  
الملكية الاسبانية ، والتي شرحتها غير مرة للأسرة المالكة ، ولم  
يحفل بنذيرها إنسان . كذلك تتضمن المذكرات نبذاً كثيرة عن  
عظاء هذا العصر الذين اتصلوا بالبلاط الأسباني

### مخطوطات قديمة

المخطوطات القديمة النادرة الوجود ، يهتم بجمعها وحفظها  
صاحب مكتبة العرب بشارع الفجالة ، جمع الكثير منها في الأدب  
والتاريخ والشعر ، والروحاني والفلك والطب ، والجغرافيا ،  
وخلافه من الكتب الاسلامية والمصاحف الأثرية ؛ كما أنه  
مستعد لشراء مثل هذه الكتب بأثمان جيدة . وللمكتبة فهرس  
بالمطبوعات يرسل مجاناً

« الشؤون الخارجية » Foreign affairs الأمريكية مقالاً عن  
« الثقافة في عصر النازي » استعرضت فيه خواص الحركة  
الأدبية والثقافية في ألمانيا الحاضرة ، ومما قاله إن العالم الخارجي  
يدهش اليوم لأن أصوات الكتاب الألمان لا تسمع ، ولأنهم  
رضوا طائعين أن يكونوا آلة صماء للسياسة والوحى السياسي ،  
ولكن الحقيقة أن هناك مبررات قوية لهذا الخضوع المطبق ؛  
ذلك أن الحركة الفكرية والثقافة كلها قد وضعت في ألمانيا الحاضرة  
تحت نظام حديدي مطلق ، ومن المستحيل اليوم أن يصدر في  
ألمانيا كتاب أو نشرة ديمقراطية أو اشتراكية ، أو أدب  
يصطبغ بالصبغة الدولية مخالفاً للنزعة القومية الداخلية . وقانون  
الصحافة الجديد قوامه عصبية من الكتاب المتصين لنظريات  
الجنس هم أعضاء جمعية الصحافة القومية ، ولهم وحدهم الحق في  
الكتابة تحت الرقابة الحزبية ، ويقاقب من يخرج منهم على قانون  
الجمعية أو على مبادئها بالحبس سنة ؛ وكل ناشر يشجع كاتباً ليس  
متحدثاً بجمعية الصحافة وينشر له شيئاً يعاقب بالحبس والغرامة  
وكل ما يكتب تفرض عليه رقابة صارمة ؛ وتخضع الحركة الفنية  
لمثل هذا النظام الحديدي ؛ وترى من تومبسون أن ما يسود الحركة  
الثقافية اليوم من تلون ونفاق أساسه الاضطهاد والخوف يجعلاها  
في نظر العالم المتمدن مأساة مروعة تفوق تلك المأساة التي يعرضها  
الكتاب النفيون أنفسهم ؛ فيين أولئك النفيين اليوم أعظم  
كتاب ألمانيا المعاصرة مثل توماس مان ، وأخيه هيريش ،  
وأرنولد زفايج ، وأريك ريمارك ، وطائفة أخرى من أقطاب  
الكتاب اليهود

والأدب الألماني يصدر اليوم في ظل النازي بكثرة ، ولكنه  
أدب محتضر تنقصه روح الابتكار ، ومنتظر زعماء النازي عبثاً  
ظهور المبقرات الأدبية الممتازة . ذلك أن حرية الفكر هي  
روح كل أدب وفن ؛ وما دام التفكير مصفداً والآراء مملأة ،  
فسوف يكون نمرة أدب وثمة كتب ومجلات ، ولكن لن يكون  
نمرة أدب جميل أو رفيع ؛ وسيكون نمرة كتاب ، ولكن كتاب  
محترفون أرقاء

### دائرة معارف للجنس الأسود

سيكون للسود في القريب العاجل دائرة معارف خاصة



رسائل ايراهالى

## على طريق الهند للأستاذ عبد الفتاح السرنجاوى

يحصّلوا منه على القطن والحبوب ، وتفسير ذلك اهتمام الانجليز بمشروعات الري العراقية التي أسفرت عن فشل مشروع . ثم يشير إلى مرحلة أخرى كشف فيها النفط ودعى الجنرال فيشر إلى الاستعاضة به عن الفحم وما بذلته إنجلترا في سبيل تأسيس الشركات وعقد الصفقات والمقاولات حتى سنة ١٩٣١

وينتقل إلى أن الحالة السياسية كان لها أثرها في علاقات الانجليز بالشرق ، فقد قامت النهضة التركية وسيقت تركيا لاعلان الحرب وتقاسم الاستعماريون أملاكها ، ثم كان أخيراً انتصار مصطفى كمال والقضاء على الأطماع البريطانية في تركيا ذاتها

كذلك ظهر السيد جمال الدين الأفغانى ونشر آراءه الحرة في إيران فقامت حركات دستورية واضطرابات عنيفة سنة ١٩٠٥ و ١٩٠٨ . ثم قامت الحركة الوطنية بعد ١٩١٧ نخلت الاستعمار البريطانى ونصبت رضا شاه بهلوى ملكاً على إيران الجديدة

كذلك قاتل الأفغان ضد الاستعمار تحت راية أمان الله حتى الحرب العامة التي أعلن أمان الله بعدها الاستقلال وأسس العلاقات السياسية مع روسيا . ثم جاوز هذا إلى حرب الانجليز وعقد معهم صلح (راوال بندى) ، وسار في سبيل الاصلاح الداخلى والنهوض بالأفغان حتى قامت عليه الثورة المدبرة التي أزلته عن عرشه وأجلست مكانه نادر شاه

وتشير الرسالة إلى بوادر اليقظة في الهند بعد فظائع الاستعمار البريطانى مما أدى الى عقد المؤتمر الوطنى الهندى ونجاحه في الدعوة إلى الثورة في وجه الانجليز حتى سنة ١٩١٢ ، ثم اقتربت الحرب العظمى فاستألت إنجلترا الهنود لتضمهم إلى صفوفها . وبعد انتهاء الحرب عمد الانجليز إلى إصلاحات سنة ١٩١٩ ثم قامت الحركة الوطنية بزعامه غاندى فحكم عليه وانقسمت الجبهة الوطنية ودارت مفاوضات مؤتمراً الطاولة المستديرة وانتهى الأمر بتخاذل

غاندى وانصرافه عن قضية الوطن الهندى إلى قضية النبوذيين كذلك مصر قامت فيها حركة وطنية بدأها محمد على الكبير وراعها اسماعيل والطبقة الارستقراطية ؛ وهنا يناقش الكاتب

رسالة قيمة أخرجتها إلى شباب الشرق جريدة الأهالى التي كانت تصدر في بغداد وعيظت وأسفاه منذ طويل ، وهي بحث علمى قوى رجح كاتبه الفاضل فيه . إلى أكثر من تسعين مرجعاً من السجلات والمحفوظات الرسمية والأوراق البرلمانية وتقارير الخبراء العسكريين والدبلوماسيين ونصوص المعاهدات ، وكتب المؤلفين المهتمين بدراسة شؤون الشرق أمثال أندريو وبوشام وتشرشل وكروزون وفوكس ومون وإسكويث والسير ولیم ولكوكس والسير ارنولد ولسون وغيرهم

وقد تبذ أهذه الرسالة بمقدمة جغرافية عن أهمية الخليج الفارسمى وسواحله العربية والفارسية والشمالية ، ثم يجاوز الكاتب هذا إلى كلام في تاريخ الخليج ، ثم يثبت أن المصالح المادية وتجارة أوروبا مع الشرق كانت سابقة للأطماع السياسية ، وينتهى إلى أن الانجليز إنما سيطروا على الخليج الفارسمى في سبيل الهند وموضحاً أهمية الهند للامبالية الانجليزية وكاشفاً في قوة وجرة عن سياسة هذه الرأسمالية واستخدامها الهنود لصلحة الاستعمار وارتكابها الأخطاء الوحشية في سبيل تحقيق ذلك كله . ويرى الكاتب الفاضل أن وادى الفرات أقرب الطرق إلى الهند ؛ ويشرح موقف إنجلترا إزاء المسألة الشرقية ، واهتمامها بطريق السويس والفرات ؛ وبين ما نشأ من نزاع بين الرأسمالية الدولية من أجل سكة حديد بغداد حتى قيام الحرب العالمية

ويرى كاتب الرسالة فوق ما تقدم أن الثورة الصناعية جعلت الانجليز في حاجة إلى كثير من المواد الففل ، وقد يكون اهتمامهم بالعراق لأنها طريق الهند أولاً ولأنها أيضاً حقل يستطيعون أن

على أمرها في أشد الحاجة إلى مثل هذه الكتابة الشعبية التي تنير لها سبل الحياة الحرة وتشرها بما ينصب فوق رأسها من إرهاق وعسف ؛ ذلك هو الأدب الحى الذى يقرب أوضاع الجماعات ويهدم الفاسد من أنظمة الحكم ليقم محلها أنظمة سالحة تنفذها حكومات سالحة تعمل لصالح المحكومين وتستمد منهم وجودها وقوتها ، والشرق العربى والطوراني ظللاً طويلاً مسخرين لصالح الحاكمين والمستمرين الذين أذلوا الجماعات ، ووقفوا في سبيل إظهار مواهب الفرد وقوته ، وحاولوا دون أن يعمل لصالح الجماعة التي يعيش فيها . ورسائل الأهالى التي نحن بصدها كتابة شعبية صريحة كتبها أقلام جريئة قوية لا تخشى في الحق لومة لأثم ووجهها إلى شباب الشرق تثير فيه الحماسة وتدكى جذوة القومية الشرقية العزيزة ونجلي عن ويلات الاستعمار مساوئه وتفتح عين الشرق على خير وسائل الخلاص ، وهذه الأقلام المخلصة لارباب حقيقة بالمعظم والتقدير ؟

عبد الفتاح السرجارى  
مدرس التاريخ بمعهد القاهرة

الوضع الاقتصادى للبلاد ، ويتبع أدوار الوطنية التقليدية على يد عمربى ومصطفى كامل وسعد زغلول ، ويبين كيف أن آمحاد الجهات العليا مع الأنجليز وتآمر الأرسقراطيين مع السياسة الاستعمارية جعل الوطنية التقليدية على وشك الزوال . ذلك ختام الفصل الذى تعرضت فيه الرسالة لمصر . على أن ما شهدته العالم من تضحيات الشباب المصرى ، وتكوين الجبهة الوطنية ممثلة بجمع الأحزاب ، وعقد معاهدة ١٩٣٦ ، لا شك يجعل الوطنية التقليدية التي أشار إليها الكاتب الفاضل تدخل في دور جديد يقضى فيه على مساومة المستمرين وخذلان قضية الوطن برعاية مصالح الطبقة الخالصة

ثم يناقش الكاتب الفاضل بعد هذا تماون روسيا السوفيتية مع الشرقين الأوسط والأدنى ، وإلغاء الامتيازات ، وعقد المعاهدات مع تركيا وإيران وأفغانستان ، وتكوين الجبهة الشرقية ضد الاستعمار ، وما كان فوق ذلك من أثر النظام السوفيتى في حكومة تركيا الجمهورية مستدلاً بمشروع السنوات الخمس التركى

ويبحث الفصل الأخير من فصول هذه الرسالة القيمة في النزاع الاستعمارى في الشرق الأدنى وكيف أن الأنجليز يستمينون بأمرء العرب ضد الوحدة الاسلامية ، وكيف أن سياستهم قد اتخذت في الشرق بعد الانقلاب الروسى ، فعمدت أنجلترا إلى سياسة جديدة هي مفاوضة فرنسا وعقد المؤتمرات لتوزيع المروش والتيجان ، وبذلك حكمت جبهة الدفاع في البلاد العربية واتخذت العراق مقراً لها . وأخيراً يشير إلى المعاهدة العراقية الانجليزية ويرى أن الخلاص لا يكون إلا بالانتباه إلى مكائد الاستعمار للعراقيين ولشعوب الشرق على حد سواء ، وبالاستفادة من موقع العراق الخطير على إنقاذ أنفسهم من ويلات المستمرين ، وأن يتذكروا دائماً أن خلاصهم من الاستعمار منوط بتعاون شعوب الشرق كافة وبزوال الاستعمار من جميع البلاد الشرقية

\*\*\*

ذلك نموذج سام للكتابة القومية الشرقية التي لا يختص بها قطر دون آخر من بلاد الشرق ، والتي تريد أن تجعل من الشرق بأمره جبهة قوية في وجه الاستعمار . والواقع أن الشعوب المغلوبة

## بخنة التأليف والترجمة والنشر

### كتاب السلوك للمقرزى

#### القسم الثانى من الجزء الاول

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر القسم الثانى من هذا المؤلف الكبير وهو يشمل بقية ما كتب المقرزى في الدولة الأيوبية بمصر وشطراً كبيراً من تاريخ دولة المماليك الأولى المعروفة بدولة المماليك البحرية

وقد قام بنشره الدكتور محمد مصطفى زيادة مدرس تاريخ القرون الوسطى بكلية الآداب بالجامعة المصرية . واعتمد في إخراجه على نسخة خطية كتبها المقرزى بيده ، وقد عني بإضافة حواش تاريخية « وجغرافية » لغوية جمة . ويقع هذا القسم في أربعائة صفحة من القطع الكبير وطبع بمطبعة دار الكتب وثمته عشرون قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارة الكرداسى نمرة ٩ ببابدين ومن الكاتب الشهيرة ؟